مُختصَرُ
إظهارِ العَقيدةِ السُّنِّيَّة
بشَرحِ العَقيدةِ الطَّحاوِيَّة

وهو اختصارٌ لشرحِ العلامةِ العبدرِيِّ
المُسَمَّى إظهار العقيدة السُّنِّيَّة
بشرح العقيدة الطحاويةِ

اختصرَهُ
الفقيرُ ابنُ القاضِي
غفر اللّه له

شركة دار المشاريع

الطبعة الثّانية

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩ر

شركة دار المشاريع

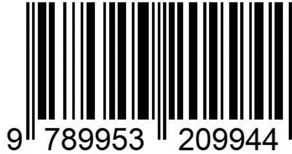
بيروت ـ لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون، بناية
الإخلاص

تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤(١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ ـ ١٤ بيروت ـ لبنان



ISBN 9789953209944



email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾(١) والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد وعلى ءالِهِ وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعد فإنَّ الله تعالى يقول فِى سورةِ المجادلةِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ وأفضلُ العلومِ هو علمُ التوحيد لتعلُّقِهِ بأفضلِ المعلوماتِ وهو معرفةُ اللهِ تعالى ومعرفةُ رسولِهِ ﷺ ومِن أشهرِ كتبِ هذا الفنِّ كتابُ العقيدةِ الطحاويةِ الذِى وضعَ اللهُ تعالى له القبولَ بين المسلمين فِى المشرقِ والمغرب ومِن أنفعِ شروحِهِ كتابُ إظهار العقيدة السُّنِّيَّةِ للعلامةِ العبدرِىّ لكنه رحمه اللهُ بسطَ العبارةَ فِى مواضعَ منه وأتَى بنقولٍ وأبحاثٍ تَعْلُو عن دركِ المبتدِئِ فألهمَ اللهُ تعالى أنْ أقومَ باختصارِهِ تسهيلًا وإيضاحًا بحيثُ يخرُجُ حلًّا مختصرًا لكلِّ ألفاظِ المتنِ مع المحافظةِ على مقاصدِ الشارحِ بل وعلى عباراتِهِ ما استطعتُ فأقدمتُ على ذلك مستعينًا أيضًا بشرحِهِ الآخَرِ المختصَرِ لهذِهِ العقيدةِ وتفضَّلَ اللهُ تعالى فسهَّلَهُ فتمَّ بمَنِّهِ وكرمِهِ ميَسَّرًا للطلابِ واضحًا للقاصدين واللهَ أسألُ أنْ يكونَ هذا

(١) سورة الكهف/ءاية (١ - ٢).

المختصَرُ وسيلةً لمعرفةِ أصولِ الدينِ وحفظها مِنَ التحريفِ وللوقايةِ من التلوُّثِ بضلال المضلين والحمايةِ مِن أهل البدع والزندقة ولانتفاعِى فِى الدنيا وفِى الآخرة.

أمَّا صاحبُ المتنِ فهو الفقيهُ الأصولِىُّ الحافظُ المشهورُ أحمد ابن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم ابن سليمان بن جناب الأزدى الحَجرى المصرى أبو جعفر الطحاوىُّ. كان ثقةً نبيلًا فقيهًا إمامًا وُلِدَ سنةَ سبعٍ وعشرين ومائتين ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. صحب المزنىَّ وتفقه به وسمعَ منه الحديثَ ثم ترك مذهبَهُ وانتقلَ إلى دراسةِ المذهبِ الحنفِىِّ فتفقَّهَ على أبِى جعفر أحمد بن أبِى عمران موسى بن عيسى واستفادَ مِن غيرِهِ وخرج إلى الشام فلقِىَ بها أبا خازم عبد الحميد بن جعفر فتفقَّهَ عليه وسمع منه. له كتاب أحكام القرءان يزيد على عشرين جزءًا، وكتاب معانِى الآثار، وبيان مشكل الآثار، وكتاب اختلاف الفقهاء، والعقيدة المشهورة. قال ابن يونس كان ثقةً ثَبْتًا فقيهًا عارفًا لم يخلف مثله اهـ وقال ابن عبد البر فِى كتاب العلم كان مِن أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم مع مشاركته فى جميع مذاهب الفقهاء اهـ روى عنه ابن مظفر الحافظ والحافظ أبو القاسم الطبرانىُّ وأبو بكر بن المقرئ وءَاخَرُون.

ويَرْوِى الشارحُ رحمه اللهُ تعالى العقيدةَ عن شيخِهِ المُفْتِى محمد سراج بن محمد سعيد الجبرتِىّ (ت**١٣٩٢**هـ) عن الشيخ الرُّحلةِ المسند أحمد بن موسى الموريسِىّ (ت بعد **١٣٥١**هـ) عن مسند المدينةِ أبِى اليُسْرِ فالح بن محمد الظاهرِىِّ

(ت١٣٢٨هـ) عن المسند العالم محمد بن عَلِيٍّ السَّنوسِيِّ الخَطَّابِيِّ (ت١٢٧٦هـ) عن العلامة المحدثِ عمر بن عبد الكريم ابن عبد الرسول المكِّيِّ (ت١٢٤٩هـ) عن الحافظ اللغويِّ الفقيهِ محمد مُرتَضَى الزَّبيدِيِّ (ت١٢٠٥هـ) عن محمد بن سالِم الحَفنِيِّ (ت١١٨١هـ) عن محمد بن عبد العزيز الزيادِيِّ (ت١١٤٨هـ) عن الحافظِ محمد بن علاء الدين البابلِيِّ (ت١٠٧٧هـ) عن سالم بن محمد السنهورِيِّ (ت١٠١٥هـ) عن النجم محمد بن أحمد الغيطِيِّ (ت٩٨١هـ) عن ملحقِ الأحفادِ بالأجدادِ زكريا بن محمد الأنصارِيِّ (ت٩٢٦هـ) عن الحافظِ أحمد بن حجر العسقلانِيِّ (ت٨٥٢هـ) عن أبِى إسحقَ إبراهيمَ بن أحمد التنوخِيِّ (ت٨٠٠هـ) عن أبِى محمد عبد الرحمٰن بن عبد المَولى اليَلدانِيِّ (ت٧٢٥هـ) عن إسمعيلَ بن أحمد العراقِيِّ (ت٦٥٢هـ) عن الحافظِ أبِى مُوسَى محمد بن أبِى بكر بن عمر المَدِينِيِّ (ت٥٨١هـ) عن إسمعيلَ بن الفضلِ بن الإخشيدِ (ت٥٢٤هـ) عن أبِى الفتح منصور بن الحسين التانِى (ت٤٥٠هـ) عنِ الحافظِ أبِى بكر محمد بن المُقْرِئِ (ت٣٨١هـ) عن الإمام الحافظ الفقيه أبِى جعفر أحمد بن سلامة الطحاويِّ المصريِّ رحمه الله (ت٣٢١هـ) قال (**هذا ذكرُ بيانِ عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ على مذهبِ فقهاءِ المِلَّةِ أبى حنيفةَ النعمانِ بنِ ثابتٍ الكوفى، وأبى يوسُف يعقوبَ بنِ إبراهيم الأنصارى، وأبى عبدِ اللهِ محمدِ بنِ الحسنِ الشيبانى، رضوانُ اللهِ عليهم أجمعينَ وما يعتقدونَ من أصولِ الدينِ ويدينونَ بِهِ لربِّ العالمين**).

(**الشرحُ**) أنَّ المرادَ بأهل السنة الصحابةُ ومن تبعهم فِى المعتقد ولو كان مقصِّرًا فِى الأعمال والمراد بالجماعة فِى هذا

الموطن جمهور المسلمين لأن جمهور المسلمين بعد الصحابة ثبتوا على ما كان عليه الصحابة من حيث المعتقد ولم يخرجوا عنه. يقول الطحاويُّ إنَّ هذه الرسالة هِيَ ذِكْرُ عقيدة أهل السنة والجماعة على حسب ما قرره أبو حنيفة وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم وأبو عبد الله محمد بن الحسن الشيبانِيُّ أىْ مِن حيثُ سبكُ العبارات أضع هذه الرسالة على أسلوب هؤلاء الأئمة الثلاثة أمَّا من حيث المعنى فهو مذهبُ أهلِ الحقِّ أهلِ السنة والجماعة كلهم بلا استثناء. سمَّاهم أبو جعفر الطحاويُّ فقهاءَ المِلَّةِ وأراد بالمِلَّةِ مِلَّةَ الإسلام فإنه لما وقف على مذهبهم فِى الأصول والفروع ووجده موافقًا للقرءان والسنة المشهورة وإجماع الصحابة والبراهين العقلية سماهم فقهاءَ المِلَّةِ رحمهم الله وأثابهم الجنة.

وهؤلاءِ الثلاثةُ مِن السلف لأنَّ أبا حنيفة تُوُفِّىَ سنةَ مِائةٍ وخمسين ثم تُوُفِّىَ صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن بعد نحو ثلاثين سنة مِن وفاة أبِى حنيفة. والسلفُ أهلُ القرونِ الثلاثةِ الذين ذكرهم الرسول ﷺ بقوله خيرُ الناس قرنِى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم اهـ رواه البخاريُّ.

وأبو جعفرٍ لم يَلْقَ أبا حنيفة ولا صاحبيه لكن وصل إليه عِلْمُهُمْ بواسطة الطريق الصحيح.

قال المؤلف (**نقولُ فِى توحيدِ الله مُعتقدينَ بتوفيقِ الله إنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لهُ**).

(**الشرحُ**) أنَّ التوفيقَ خلقُ قدرةِ الطاعةِ ويقابله الخِذلانُ، فَمَنْ

خلقَ اللّهُ فيه قدرةَ الطاعةِ أىْ عندَ فِعْلِها يُقال فيه موفَّقٌ، ومَن خلقَ فيه قدرةَ المعصية أىْ عندَ فِعْلِها يقال فيه مخذولٌ. وإنما قِيلَ عند فعلِها لأنَّ الاستطاعةَ التِى يفعَلُ العبدُ بها الفعلَ تكونُ مع الفعلِ عند أهل السُّنَّةِ لا قبلَهُ ولا بعدَهُ وسيأتِى إنْ شاءَ اللَّهُ بيانُهُ. وليس معنى التوفيق مرادفًا للإعانة لأنَّ اللهَ تعالى يُعِينُ العباد على الخير والشر كما ذكر ذلك الإمامُ ابنُ فُورك فِى جَمْعِهِ لمقالاتِ الأشعرىِّ.

والواحدُ فِى حقِّ الله تعالى فُسِّرَ بأنه الذِى لا شريكَ له فِى ذاته ولا فِى صفاتِهِ ولا فِى أفعالِهِ أما الأحدُ فمعناه الذِى لا ينقسم لأنه ليس جسمًا ولا جوهرًا يتركب منه الجسمُ.

ثم إنَّ المُتَكَلِّمينَ حصروا العالَمَ فِى الجَوهر والعَرَضِ، والعَرَضُ عند المتكلمين اسمٌ للصفات القائمة بالجواهرِ والأجسامِ الزائدةِ على ذواتها كالألوانِ والأكوانِ والطُّعومِ والروائحِ والأصواتِ والقُدَرِ والإراداتِ وهِىَ قريبةٌ مِن نَيِّفٍ وثلاثينَ نوعًا وهو أحدُ نَوْعَيِ العالَمِ والنوع الآخر الجوهرُ ويُقال له العينُ وهو ما يقوم بنفسه.

ثم القائمُ بنفسِهِ إما أن يكونَ مُرَكَّبًا وهو الجسمُ وأقلُّهُ جوهران أو يكونَ غيرَ مُرَكَّبٍ وهو الجوهرُ.

قال رحمه الله (**ولا شَىْءَ مثلُهُ ولا شَىْءَ يُعجِزُهُ ولا إلهَ غيرُهُ**).

(**الشرحُ**) أنه لا يماثل الله تعالى شىء لا من جميع الوجوه ولا من بعض الوجوه وأنه لا يعجزه شىء بل يدخل تحت قدرته تعالى كل ممكن من الممكنات. وأما الإلٰهُ فهو المعبودُ بحقٍّ، وأطلقه

المشركون على ما عبدوه مِن دونِ اللهِ قال الفَيُّومِيُّ فِى المصباح المنير الإلٰهُ المعبودُ وهو اللهُ سبحانه وتعالى ثم استعاره المشركون لما عبدوه من دون الله تعالى اهـ

قال رحمه الله (**قديمٌ بلا ابتداءٍ**).

(**الشرحُ**) أنَّ القديمَ فِى اصطلاحهم ما لا ابتداءَ لِوُجُودِهِ ويُرادِفُهُ الأزلِىُّ أمَّا مِن حيثُ اللغةُ فالقديمُ ما تقادم عهدُهُ، وكذلك الأزلىُّ مِن حيثُ اللغةُ يُطلق على الشَّىْءِ الذِى تقادم عهده.

قال رحمه الله (**دائمٌ بلا انتهاءٍ**).

(**الشرحُ**) أنَّ هذا يُفْهَمُ مِن القديم لأنَّ القديمَ لا يَصِحُّ أنْ يطرأ عليه فناءٌ، لذلك يقولون ما ثبت قدمه استحال عدمه لأنَّ القديمَ عندهم يستحيل عليه التَّغَيُّرُ والعدمُ تَغَيُّرٌ فلا يلحق القديمَ فناءٌ لكنهم يحرصون على بيان المعانى ولا يكتفون باللزوم.

قال رحمه الله (**لا يَفْنَى ولا يَبِيدُ ولا يكونُ إلا ما يُرِيدُ**).

(**الشرحُ**) أنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لا يطرأُ عليه فناءٌ لا يُصيبُ وجودَهُ انقطاعٌ ولا يحصلُ فِى السمواتِ وما فوقها ولا فِى الأرضِ وما تحتها ولا فِى ما بينهما إلَّا ما شاءَ وأرادَ والإرادةُ هنا بمعنى المشيئة وهِىَ تخصيصُ الممكنات العقلية ببعض ما يجوز عليها.

قال رحمه الله (**لا تبلُغُهُ الأوهامُ ولا تُدرِكُهُ الأفهام**).

(**الشرحُ**) أنَّ قوله (لا تبلغه الأوهام) معناه لا تصلُ إليه أوهام الخلائق أى تصوراتُهُم لأنَّ أوهامَ الخَلْقِ لا تصل إلا إلى ما

أَلِفَتْهُ وهو ما فيه صفةٌ مِن صفات الحادثات. وأما قوله (ولا تدركه الأفهام) فمعناه لا تحيطُ به أفهامُ الخلائق.

قال رحمه الله (**ولا يشبهُ الأنامَ**).

(**الشرحُ**) أنَّ هذه الجملةَ إيضاحٌ لما قبلها، والأنام الخلق والشبيه ما يشارك غيره ولو فى أمر واحد.

قال رحمه الله (**حَيٌّ لا يموتُ قَيُّومٌ لا ينامُ**).

(**الشرحُ**) أنَّ الحَيَّ فِى حقِّ الله تعالى يُفَسَّرُ بأنه المتصف بالحياة التِى هِيَ أزلية أبدية ليست بروحٍ ولحمٍ ودمٍ. والقَيُّومُ معناه الدائم الذِى لا يزول وقيل القائم بتدبير الخلائق.

قال رحمه الله (**خالقٌ بلا حاجةٍ**).

(**الشرحُ**) أنَّ اللهَ خَلَقَ العالَمَ بلا حاجة إليه أىْ لا ينتفع بخلقه ولا يدفع بهم ضررًا عن نفسه. فإن قيل لِمَ خَلَقَ إذًا الخَلْقَ فالجوابُ أنه خَلَقَ الخَلْقَ إظهارًا لقدرته أى حتى يعرفوه ويعرفوا أنه قادرٌ وأنه كاملُ القدرةِ لا يُعجزه شَىْءٌ، ثم هم بمعرفة ذلك ينتفعون لأنَّ مَن ءَامَنَ به واعتقد أنه متصف بصفاته الكاملة كان ذلك له سعادةً أبديةً.

قال رحمه الله (**رازقٌ بلا مُؤنَةٍ**).

(**الشرحُ**) أنَّهُ يُوصِلُ إلى العباد أرزاقهم بلا مؤنةٍ تلحقُهُ لأنَّ فِعْلَهُ بلا علاجٍ ومباشرةٍ، يَخلق الأشياء بلا ءَالَةٍ ولا مشقةٍ ولا حركةٍ ولا مُمَاسَّةٍ فهو يُوصل إلى مَن كان مِن الأحياء الذين هُم

يحتاجون للرِّزْقِ الحسيِّ أرزاقَهُمْ بلا مشقَّةٍ تلحقُهُ.

قال رحمه الله (**مُميتٌ بلا مخافةٍ باعِثٌ بلا مشقة**).

(**الشرحُ**) أنَّ الله تبارك وتعالى يُمِيتُ عبادَهُ لا خوفًا مِن ضررٍ وأذًى يلحقه إن لم يُمِتْهُمْ ثم يَبعثهم أيْ يُحييهم بلا مشقةٍ كما أنَّ بَدْءَ خَلْقِهِمْ لم يكن فيه عليه مشقةٌ، فَبَدْءُ خَلْقِهِمْ ثم إماتَتُهُمْ ثم بَعْثُهُمْ كلٌّ ذلك هيِّنٌ عليه.

قال رحمه الله (**ما زالَ بصفاته قديمًا قبل خلقِهِ لم يَزْدَدْ بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته**).

(**الشرحُ**) أنَّ الله تبارك وتعالى أزليٌّ أيْ موجودٌ فِى الأزل بصفاتِهِ القديمةِ بِقِدَمِ الذاتِ لأنه يستحيل على الذات القديم الاتصافُ بصفةٍ حادثةٍ لأنَّ اتصاف الذات بصفة حادثة يُوجِبُ عقلًا حدوثَ الذاتِ فَمِنْ هنا قال أهل الحق إنه تعالى حَيٌّ لا كالأحياء قادرٌ لا كالقادرين مريدٌ لا كالمريدين عالِمٌ لا كالعالِمين، وهكذا سائر صفاته لا تُشبهُ صفاتِ خَلْقِهِ، فَيُفهم مِن هذا أنَّ الله تبارك وتعالى لم يَزْدَدْ بوجودِ الخَلْقِ شيئًا مِن الكمال بل كمالُهُ أزليٌّ لا يزداد ولا ينقص.

قال رحمه الله (**وكما كانَ بصفاتِهِ أزليًّا كذلكَ لا يزالُ عليها أبديًّا. ليسَ بعدَ خَلْقِ الخَلْقِ استفادَ اسمَ الخالقِ ولا بإحداثِهِ البريَّةَ استفادَ اسم البارئ**).

(**الشرحُ**) أنه لَمَّا ثبتَ أنَّ اللهَ تعالى أزليٌّ وصفاتِهِ أزليةٌ فكذلك لا يزال أبديًّا بصفاته الذاتية والفعلية إذ كُلُّها قديمة عند الماتريدية

ومعهم البخاريُّ حيث قال فِى صحيحِهِ فِى كتاب التوحيد ما نصُّهُ فالربُّ بصفاتِهِ وفِعْلِهِ وأَمْرِهِ وهو الخالقُ المُكَوِّنُ غير مخلوق وما كان بفعلِهِ وأَمْرِهِ وتخليقِهِ وتكوينِهِ فهو مفعولٌ مخلوقٌ مُكَوَّنٌ اهـ فهو تعالى لم يتجدد له صفة بإحداث البرية أى الخلق أى هو تعالى خالق قبل حدوث الخلق وبارئ قبل حدوث البرية كما أنه قادر قبل وجود المقدورات أى المخلوقات.

قال رحمه الله (**لهُ معنى الرُّبوبيةِ ولا مربوبَ ومعنى الخالقِ ولا مخلوقَ**).

(**الشرحُ**) أَنَّهُ أراد بذلك أنَّ الله تعالى موصوفٌ بِمعنَى الرُّبُوبيةِ وهو المالكيةُ قبلَ وجودِ المَربُوبين وموصوفٌ أيضًا بمعنى الخالقية قبل وجود المخلوقين وموصوفٌ بصفات الكمال قبل أن يكونَ أحدٌ مِن خلقه موجودًا.

قال رحمه الله (**وكما أَنَّهُ مُحيِى المَوْتَى بعدما أحيا استحقَّ هذا الاسمَ قبلَ إحيائِهِم كذلكَ استحقَّ اسمَ الخالقِ قبل إنشائهم**).

(**الشرحُ**) أنَّ هذا إيضاحٌ لِمَا تَقَدَّمَ.

قال رحمه الله (**ذلكَ بأَنَّهُ على كلِّ شىْءٍ قديرٌ، وكلُّ شَىْءٍ إليهِ فقيرٌ وكلُّ أمرٍ عليهِ يسيرٌ، لا يحتاجُ إلى شَىْءٍ**).

(**الشرحُ**) أنَّ قولَهُ (ذلك) إشارةٌ إلى جميع ما تَقَدَّمَ مِمَّا ذُكِرَ مِن صفاتِهِ، يَعنِى أنه تبارك وتعالى قدرتُه مؤثِّرَةٌ[١] فِى كلِّ شَىْءٍ أىْ

---

(١) قوله (قدرته مؤثرةٌ) أىْ أنَّ اللهَ تعالى يُؤَثِّرُ بقُدرتِهِ أىْ أنَّ وظيفةَ القدرةِ التأثيرُ. سمير.

فِى كلِّ ما يَقبل الدخولَ فِى الوجود وذلك الممكناتُ العقليةُ، وكلُّ ما هو كذلك فهو فقيرٌ إليه أىْ محتاجٌ إليه فِى أصلِ وجودِهِ وكذلك فيما بعده، وكلُّ ما هو كذلك فهو عليه يسيرٌ أىْ يُحْدِثُهُ بمشيئته وقدرته من غير تعب يَلحقه فَيُحْدِث ما شاء مِن غير علاج ومباشرة. ويُعْلَمُ مِن هذا أنَّ ما كان مقدورَ العبدِ فهو مقدورٌ لله تعالى لأنَّ مقدورَ العبدِ شَىْءٌ وكلُّ شَىْءٍ مقدورٌ لله تعالى.

قال رحمه الله (**ليسَ كمثلِهِ شَىْءٌ وهُوَ السميعُ البصيرُ**).

(**الشرحُ**) أنَّ المُرادَ بِنَفْىِ المُمَاثَلَةِ عنِ اللهِ تعالى نَفْىُ المماثلةِ مِن جميع الوجوه والمماثلةِ مِن وجهٍ واحدٍ فكلُّ ذلكَ مستحيلٌ.

قال رحمه الله (**خَلَقَ الخَلْقَ بعلمِهِ**).

(**الشرحُ**) أنَّ هذا إشارةٌ إلى أنَّ شَرْطَ قدرةِ التخليقِ عِلْمُ الخالقِ بالمخلوق، قال تعالى فِى سورة المُلك ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤﴾ ومعناه أنَّ الذِى يخلق شيئًا يكون عالمًا به فيستحيلُ أنْ يَخلق شيئًا لا يكون عالمًا به فوجب أن يكونَ الله عالمًا لثبوت أنه الخالق، وفيه إشارة إلى فسادِ قَوْلِ مَن يقولُ بأنه تعالى غير عالم بالجزئيات وهم الفلاسفةُ، وهذه إحدى المسائل الثلاث التى يجب تكفير الفلاسفة فيها.

والمرادُ بالخَلقِ هنا الإحداثُ مِن العدم إلى الوجود وهو بهذا المعنَى خاصٌّ بالله قال اللهُ تعالى فِى سورة فاطر ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾[1] لكنْ يُطْلَقُ الخَلْقُ أيضًا بمعنَى التقديرِ وبمعنَى التصوير

---

(١) سورة فاطر/ءاية (٣).

فبهذينِ المَعْنَيَيْنِ يُوصَفُ به الله تعالى ويُوصَفُ به غيرُهُ كما فِى قول اللهِ تعالى فِى سورة المؤمنون ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴿١٤﴾﴾. ويُطْلَقُ الخَلْقُ لغةً أيضًا بمعنَى افتراءِ الكذبِ وبهذا المَعْنَى يُطلَقُ على المخلوقِ كما فِى قولِ اللهِ تعالى فِى سورةِ العنكبوتِ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾(١).

وفُهِمَ مِن ذلك أنَّ العالَمَ أيْ ما سوى اللهِ حادثٌ فالجواهر والأجسام محدثةٌ بذواتها وصفاتها ولا فرق عند المسلمين بين ذواتِ العالَم وصفاتِهِ القائمةِ بذواتِهِ فِى الكَوْنِ مُحدَثًا فليس شَىْءٌ منها أزليًّا، وقال أرسطاليس وأتباعه من الفلاسفة إنها قديمة بذواتها وبطلانُ هذا الرأيِ ظاهرٌ وقال أكثرُ الفلاسفة إنها قديمة النوع محدثَةُ الذواتِ ولا معنَى له فإنَّ النوعَ لا وجودَ لهُ خارجَ الذواتِ ومع هؤلاءِ أحمد بن تيمية فإنه موافقٌ لهذه الطائفةِ منهم وليس على مذهبِ إرسطو، وليس بين المسلمين اختلافٌ فِى تكفيرِ القائلين بالمقالتين. وقد ذَكَرَ اتفاقَ المسلمين على تكفير الطائفتين الفقيهُ المُحَدِّثُ الأُصوليُّ بدرُ الدين الزركشيُّ، ونقلَ القطعَ بتكفيرِ قائلِ ذلك أيضًا العلَّامتانِ الحافظانِ الكبيرانِ الفقيهانِ اللَّذانِ قِيل ببلوغهما درجةَ الاجتهادِ تقِيُّ الدين محمدُ ابنُ دقيقِ العيدِ وتقىُّ الدين علِيٌّ السُّبكيُّ والحافظُ القاضِى عياضٌ المالكيُّ وكذا نقل ابنُ حزم الظاهريُّ اتفاقَ علماءِ الإسلام على تكفيرِ مَن يخالف فِى أنَّ الله تعالى كان فِى الأزل وحدَهُ لَم يزلْ وحدَهُ لم يكن معه شَىْءٌ ثم خلقَ الخَلْقَ اهـ ذكرَ ذلك فِى كتابه مراتب الإجماع، فكلامُ هؤلاءِ كُلِّهِمْ مُنْصَبٌّ على ابن تيمية ومَن

(١) سورة العنكبوت/ ءاية (١٧).

قال بمقالته كابن سينا والفارابِيّ وابنِ رشدٍ الحفيدِ ليسَ ابنَ رشدٍ الجَدَّ. وابنُ تيمية نصَّ على ما نقلنا عنه فِى كتابِهِ منهاجِ السنة النبوية وكتابِ موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول وكتابِ شرح حديث النزول وكتابِ شرح حديث عمران بن حُصين وكتابِ نقد مراتب الإجماع وغيرِ ذلك مِن كتُبِهِ.

قال رحمه الله (**وقدَّرَ لهُم أقدارًا**).

(**الشرحُ**) أنَّ الله سبحانه وتعالى قدَّر فِى الأزلِ مقاديرَ الخلقِ مِنَ الخيرِ والشرِّ والطاعةِ والمعصيةِ والرِّزقِ والسعادةِ والشقاوةِ ونحوِ ذلك وكتبَ اللهُ تعالى فِى اللوحِ المحفوظِ ما قدَّرَ حصولَهُ إلى يوم القيامةِ كما قال رسول الله ﷺ إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء اهـ رواه مسلم.

وإذا أُطلق التقدير بمعنى الصفة الأزلية لله تعالى كان بمعنى التدبير، قاله كثيرٌ منهم الزجاجُ مِن اللغويين، وهو بهذا المعنى لا ينقسم إلى خير وشر.

قال رحمه الله (**وضربَ لهُم ءَاجَالًا**).

(**الشرحُ**) أنَّ اللهَ تعالى قدَّرَ ءَاجَالَ الخلائق مِن الآدميين والجِنِّ وغيرِهِم مِن المخلوقات بحيث إذا جاء أجلُهُم لا يَستقدمونَ عنه ساعةً ولا يَستأخرون كما جاء فِى قوله تعالى فِى سورةِ الأعـــرافِ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤﴾ والأجلُ قالوا عبارةٌ عن وقت يخلق الله تعالى فيه الموتَ، فعُلم بهذا أنَّ المقتولَ ميتٌ بِأَجَلِهِ وأنَّ القتلَ فعلٌ يخلق اللهُ

تعالى عَقِبَهُ فِى الحيوان الموتَ.

قال رحمه الله (**ولمْ يَخْفَ عليهِ شَىْءٌ قبلَ أن يخلُقَهُم**).

(**الشرحُ**) أنَّهُ لَمْ يَخْفَ على اللهِ شَىْءٌ مِن أفعالِ العبادِ قبل أن يخلقَهُمْ لأنه سبحانه وتعالى عالمٌ بالكُلِّيَّاتِ والجُزئيات قبل وجودها بعلمِهِ الأزليِّ الأبديِّ إذ علمُهُ صفتُهُ وهِىَ قائمةٌ بذاتِهِ قال الله تعالى فِى سورة النمل ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[1].

وقالتْ غُلاةُ القدرية إنه لا يعلم الشَّىْءَ ما لم يخلقْهُ ولم يُوجِدْهُ وقالتْ بذلك جماعةُ عبدِ الهَادِى البانِىِّ تلميذِ أمين شيخو الدمشقِىِّ.

وأشار المؤلفُ إلى بطلان قولهم بقوله رحمه الله (**وعَلِم ما هُم عامِلونَ قبلَ أن يخلُقَهُم**).

(**الشرحُ**) أنَّ الله تعالى عالِمٌ قبل أن يخلقَ الخَلْقَ ما هم عاملون بعد خلقهم.

قال رحمه الله (**وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته**).

(**الشرحُ**) أنَّ الله تعالى أمرَ العباد بالطاعة ونهاهم عن المعصية تحقيقًا لمعنى الابتلاء لأنَّ أوامرَ اللهِ تعالى ونواهِيَهُ لابتلاءِ العبادِ واختبارِهِم ليَظْهَرَ المطيعُ مِن العاصِى على حسب ما سبق به علمه ويتحققَ من الطائعين ما خُلقوا له مِنَ الطاعة والعبادة ولِيَنْتَهُوا عمَّا نُهوا عنه مِن المعاصِى مضافًا إلى اختيارهم

(١) سورة النمل/ءاية (٦٥).

وكسبهم لا جبرًا كما ذهب إليه الجبرية، وعلى هذا المعنى قولُهُ تعالى فِى سُورة الذاريات ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ أىْ لآمرهم بعبادتِى وأنهاهم عن معصِيَتِى.

قال رحمه الله (**وكلُّ شَىْءٍ يَجرِى بتقديرِهِ ومشيئَتِهِ، ومشيئُتُهُ تنفُذُ لا مشيئةَ للعبادِ إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كانَ وما لم يشأ لم يكُن**).

(**الشرحُ**) أنَّ كلَّ شَىْءٍ مِنَ الكائنات يوجد بتقدير الله تعالى الذِى هو صفةٌ له أزليةٌ أبديةٌ وأنه لا مشيئةَ للعباد فِى أنفسهم وأفعالِهِم إلا ما شاء الله تعالى لهم، قال تعالى فِى سورة الدهر ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾(١) علَّق مشيئتهم لِمَا يصدر منهم بمشيئتِهِ تعالى فلا توجَدُ دونَها.

قال رحمه الله (**يَهْدِى مَن يشاءُ ويَعصِمُ ويُعافى فضلًا ويُضِلُّ من يشاءُ ويَخْذُلُ ويَبتلِى عدلًا**).

(**الشرحُ**) أنَّ الله تعالى يَهْدِى مَن يشاء مِن عباده إلى طاعته ويعصِمُهُ أىْ يحفظه عن معاصيه ويُعافِيهِ فِى دِينه ونفسِهِ فضلًا منه تعالى لا لأنه مُلزمٌ بذلك، ويُضِلُّ مَن يشاء مِن عباده ويَخْذلُهُ أىْ يترك حِفْظَهُ ونصرتَهُ ويَبتليه فِى نفسِهِ ودِينِهِ عدلًا منه تعالى لا ظلمًا وجَوْرًا، فَعُلم بذلك بطلانُ مذهب المعتزلة وهو قولُهُم إنه ملزَمٌ بما هو الأصلح للعباد لأنَّ الحقَّ له أن يتصرفَ فيهم كيف يشاء، لأن العالَم مِلكُهُ وهو المالكُ الحقيقىُّ له فله أن يتصرفَ فِى مملوكه كيفما يريد. وأما ملكنا نحن فإنه ملك

(١) سورة الإنسان/ءاية (٣٠).

مجازيّ لأننا وما نملك ملك لله تعالى فلا يجوز لنا أن نتصرف فى ما ملكنا الله إلا على وفق ما أذن لنا فيه.

ومِن أدلة أهل الحق قوله تعالى فِى سورة القصص ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾(١) هذه الآيةُ نزلت فِى أبِى طالبٍ لَمَّا مات كافرًا وكان الرسولُ ﷺ دخل عليه فِى مرض وفاته فعرض عليه الإسلامَ فأبَى أن يقول لا إله إلا الله بل قال إنِّى على مِلَّةِ عبدِ المطلب فمعنَى الآية إنك يا محمد لا تهدِى مَن أحببتَ الاهتداء له وهو عمُّهُ لأنه كان يحب له أن يَهتدِىَ وإن كان لا يحبُّ شخصَهُ لِكُفْرِهِ وإنَّما اللهُ تعالى يَهْدِى مَن شاء فِى الأزل له أن يَهْتَدِىَ فالضميرُ فِى ﴿يَشَآءُ﴾ عائدٌ إلى الله.

قال رحمه الله (**وكُلُّهُم يتقلبونَ فى مشيئتِهِ بينَ فضلِهِ وعدلِهِ**).

(**الشرحُ**) أنَّ كلَّ الخلائق يتقلبون فِى مشيئة الله تعالى بين فضله إنْ هداهُمْ وبين عَدْلِهِ إنْ أضلَّهُمْ، ومعنَى هدايةِ اللهِ خَلْقُهُ الاهتداءَ فِى قلبِ مَن شاء مِن عباده ومعنَى إضلاله لِمَنْ أضلَّهُمْ مِن عباده خَلْقُهُ الضلالةَ فِى قلوبهم وهذا لا يكون إلا للهِ.

قال رحمه الله (**وهوَ مُتَعالٍ عنِ الأضدادِ والأندادِ**).

(**الشرحُ**) أنَّ الله تعالى مرتفع بالعظمة والكبرياء لا بالمكانِ، والأندادُ جمعُ نِدٍّ وهو المِثلُ والمنادُّ، وأما الأضدادُ فهو جمعُ ضِدٍّ وهو المنازع والمغالب فالله تعالى منزه عن أن يكون له مثل كما أنه منزه عن أن يكون له مغالب لأن كل شىء فى قبضته وتحت مشيئته سبحانه.

(١) سورة القصص/ ءاية (٥٦).

قال رحمه الله (**لا رادَّ لقضائِهِ ولا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ولا غالِبَ لأمرِهِ**).

(**الشرحُ**) أنَّهُ أراد بالقضاءِ التكوينَ فلا يقدر أحد على منع الله من تكوين ما يكونه أو يكون القضاء بمعنى مشيئة الله المتعلقة بالحادثات وعليه فالمراد أنه لا يمنع نفاذ مشيئته بإيجاد المحدَثات أحدٌ.

وقوله (ولا معقب لحكمه) معناه لا مؤخِّرَ لِحُكْمِهِ أى لحكمه التكوينى فيكون المعنى أنه لا يستطيع أحد أن يمنع نفاذ إرادة الله تعالى ووجود ما شاء الله وجوده أو يكون المرادُ الحكمَ بمعنى الخطاب التكليفى وعلى هذا يكون المعنى أنه لا أحد يقدر على أن يجعل هذا الحكم باطلًا.

وقوله (ولا غالب لأمرِهِ) معناه لا يغلِبُ أمرَ اللهِ غالبٌ. والأمرُ هنا بمعنَى المفعول والمقدَّرِ الذِى أراد الله وجوده لا بمعنى الكلام.

قال رحمه الله (**ءَامَنَّا بذلكَ كُلِّهِ وأيقَنَّا أنَّ كُلًّا مِن عندِهِ**).

(**الشرحُ**) أنَّنا صدَّقْنا تصديقًا جازمًا وأيقَنَّا إيقانًا لا تردُّدَ فيه أنَّ كُلًّا مِن عند الله، وفِى هذا بيانُ أنَّ اللهَ تعالى هو خالق الخير والشر بإرادته وقضائه فمن خالف فِى ذلك فقد ردَّ قولَ اللهِ تعالى فِى سورةِ فاطر ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾[1].

(١) سورة فاطر/ءاية (٣).

قال رحمه الله (**وإنَّ محمدًا ﷺ عبدُهُ المُصطفى ونبيُّهُ المُجْتَبَى ورسولُهُ المُرْتَضَى**).

(**الشرحُ**) المُصطفَى والمُجْتَبَى معناهما واحدٌ، وكذلك المرتضى معناه قريبٌ منهما ولكنَّ المصطفى والمجتبى فيهما زيادةُ مدحٍ على المرتضى.

وأما النَّبِيُّ والرسولُ فقد قال القُونويُّ شارحُ الطحاويةِ ما نصُّهُ الفرقُ بين النبيِّ والرسولِ أنَّ الرسولَ مَن بعثَهُ اللهُ تعالى إلى قوم وأمرَهُ بحكم لم يكن ذلك الحكم فِى شرعِ الرسول الذِى كان قبلَهُ والنبيُّ مَنْ لم يأمره بحكم جديدٍ بل أمرَهُ بأنْ يدعوَ الناس إلى شرعِ الرسولِ الذِى كان قبله اهـ كما أنَّ الرسولَ يعمُّ البشر والملك بخلاف النبيِّ. وما شاع فِى بعضِ التآليفِ كتفسيرِ الجَلالَينِ مِن أنَّ النبيَّ هو الذِى أُوحِيَ إليه بشرع ولم يُؤمر بتبليغه وأنَّ الرسول مَن أُوحِيَ إليه بشرع وأُمِرَ بتبليغه فغيرُ صحيح لأنَّهُ لا معنَى للنبيِّ إلا أنْ يكونَ مأمورًا بالتبليغ لأن النبيَّ لا يُنَبَّأُ لنفسه فقط فليُتَنَبَّهْ.

ثم إرسالُ الرُّسُلِ ليس واجبًا على الله بل الله تبارك وتعالى متكرم بذلك، ولو لم يرسل لم يكن ذلك نقصًا على الله تعالى.

وإذا ادَّعَى واحدٌ الرسالة فى زمان جوازها وهو قبل مبعثِ النبيِّ ﷺ لا يجب قبوله بدون معجزة والمُراد ما يُظهرُ عَجْزَ الخَلْقِ عن معارضتِهِ. وتعريفُ المعجزة فِى الاصطلاح أمرٌ إلهِيٌّ خارقٌ للعادة فِى دار التكليف لإظهارِ صِدق مُدَّعِى النُّبُوَّةِ مع عَجْزِ مَن ينازعه عن معارضته بمثل ذلك الأمر الإلهِيّ.

وظهورُ الناقضِ للعادة على يد الوليِّ جائزٌ عندنا كرامةً له.

ثم إنَّ نبيَّنا محمدَ بنَ عبد الله بنِ عبد المطلب رسولُ الله لأنه ادَّعَى النبوة وهو معلوم بالتواتر وظهرتِ المعجزاتُ على يديه كانشقاق القمر ليلة البدر وانجذاب الشجر إليه مرارًا وتسليمِ الحجر عليه ونبعِ الماء مِن بين أصابعه وحنينِ الجذع إليه حين انتقل إلى المنبر وكان يستند إليه عندما يخطب فالتزمه نبيُّ الله حتَّى سَكَنَ وسَقْيِهِ الكثيرَ مِن الناس القليلَ من الماءِ حتى كفاهم. ومن معجزاته أيضًا القرءانُ وهو أظهرُها وأقواها وهو مِن أعجبِ الآيات وأَبْيَنِ الدّلالاتِ إذْ هو ءَايَةٌ حِسِّيَّةٌ عقليَّةٌ باقيَةٌ إلى يوم القيامة منتشرٌ فِى الأطراف مبثوثٌ فِى الآفاق بخلاف غيره من المعجزات فإنها تختص بزمان أو مكان بايَنَ نظمُهُ العجيبُ وجوهَ النَّظْمِ وتحدَّى به جميعَ الأنامِ وقرعَهُم بالإفحامِ فلم يَتَصَدَّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحدٌ مِن مصاقع الخطباءِ ولم ينهض بمقدار أقصرِ سورةٍ منه ناهضٌ مِن فُحُول الشعراءِ البلغاءِ مع أنهم أكثر مِن حصى البطحاء ورمالِ الدَّهْناءِ فدلَّ عجزُهُم على أنه كان معجزةً مِن الله تعالى لتصديق نبيِّهِ.

قال رحمه الله (**وإنَّهُ خاتمُ الأنبياءِ**).

(**الشرحُ**) أنَّ الدليل على ذلك قوله تعالى فِى سورة الأحزاب ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(١) وقوله ﷺ وأنا العاقبُ الذِى ليس بعده نبِىٌّ اهـ ومخالفةُ القاديانيةِ أتباعِ غلام أحمد القاديانِىِّ الذِى ادَّعَى النبوةَ لِهذا كفرٌ وهم يتأوَّلُونَ الخاتمَ فِى

(١) سورة الأحزاب/ ءاية (٤٠).

الآيةِ بمعنى الزّينة وهذا تحريفٌ للآيةِ ويدَّعُونَ أنَّ معنَى الحديثِ لا نَبِيَّ بعدِى اهـ لا نَبِيَّ ءَاخَر معِى أىْ فِى حالِ حياتِى وهذا تحريفٌ للحديث فإنه يَعْنِى أنَّ محمدًا ﷺ ءَاخِرُ النبيين فلا يأتِى بعده نبيٌّ إلى يوم القيامة.

قال رحمه الله (**وإمامُ الأتقياء**).

(**الشرحُ**) أنَّ سيدنا محمدًا ﷺ يكون مُقَدَّمَ الأتقياءِ فِى الآخرةِ حيث إنهم يكونون كلُّهُم الأنبياءُ فمَن دونهم تحت لوائه يوم القيامة. وكلُّ مَن أدَّى الواجباتِ كلَّها واجتنب المحرماتِ كلَّها فهو تقىٌّ.

قال رحمه الله (**وسيدُ المُرسَلين**).

(**الشرحُ**) أىْ أفضلُهُم ويدلُّ على ذلك قولُهُ تعالى فِى سورةِ ءَالِ عِمران ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾[١] فلمَّا كانت أمتُهُ خيرَ الأمم كان هو أفضلَ الأنبياءِ كما يدُلُّ عليه قولُهُ ﷺ أنا سيد الناس يوم القيامة اهـ رواه البخارىُّ وغيره.

قال رحمه الله (**وحبيبُ ربِّ العالمين**).

(**الشرحُ**) أىْ محبوبُ ربِّ العالَمِينَ وذلك للأخبار الثابتة فِى ذلك ومنها قوله ﷺ وأنا حبيبُ اللهِ ولا فخرَ اهـ رواه الترمذىُّ.

---

(١) سورة ءال عمران/ءاية (١١٠).

قال رحمه الله (**وكلُّ دعوى نُبوةٍ بعدَ نبوتِهِ فغَيٌّ وهَوًى**).

(**الشرحُ**) أنَّ مَنِ ادَّعَى النبوة بعده ﷺ فهو مكذِّبٌ للنصوصِ القرءَانيةِ والحديثيةِ ولإجماعِ الأمةِ فتكونُ تلك الدَّعْوَى باطلةً وضلالًا وخيبةً لا عن دليلٍ وإنما بسببِ هَوَى نفسٍ أيْ ميلٍ نفسانيٍّ مذمومٍ لأنَّ الهَوَى عبارةٌ عن شهوةِ النفس ومَيْلِها إلى الباطل كما فِي قولِهِ تعالى فِي سورة النازعات ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠﴾.

قال رحمه الله (**وهوَ المبعوثُ إلى عامَّةِ الجنِّ وكافَّةِ الوَرَى بالحقِّ والهُدى وبالنورِ والضياء**).

(**الشرحُ**) أنَّ النبيَّ ﷺ مبعوثٌ إلى عامة الجن كما أنَّهُ مبعوثٌ إلى الإنس لقوله تعالى فِي سورة الأحقاف ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٢﴾ وفِي هذا دليلٌ ظاهرٌ على أنه ﷺ كان مبعوثًا إلى الجنِّ أيضًا. وقد اتَّفَقَ أهلُ الحقِّ(١) على أنَّ الجنَّ مُكَلَّفُونَ وإنْ لم يكنْ لهم نبيٌّ مِن أنفسهم.

(١) قوله (اتفق أهلُ الحقِّ) أيْ أجمعُوا. سمير.

قال رحمه الله (**وإنَّ القرءانَ كلامُ الله منهُ بدا بلا كيفيةٍ قولًا وأنزلهُ على رسولهِ وحيًا وصدَّقهُ المؤمنونَ على ذلكَ حقًّا وأيقنوا أنهُ كلامُ اللهِ تعالى بالحقيقةِ ليسَ بمخلوقٍ ككلامِ البريَّةِ، فمَنْ سَمِعهُ فزعمَ أنهُ كلامِ البشرِ فقد كفر، وقد ذمَّهُ الله وعابهُ وأوعدَهُ بسقر حيث قال تعالى ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾**[1] **فلمَّا أوعدَ الله بسقر لمن قالَ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾**[2] **عَلِمنا وأيقنَّا أنَّهُ قولُ خالقِ البشر ولا يُشبهُ قولَ البشر**).

(**الشرحُ**) أنَّ الكلام فِى هذه المسئلة يحتاج إلى بسطٍ لكثرة الاختلاف فيها حتى إنَّ هذا العلمَ عِلْمَ العقيدةِ سُمِّىَ بعلم الكلام لأن أكثرَ ما تكلم المتكلمون فيه هذه المسئلةُ، فقول المؤلف (وإنَّ القرءانَ كلامُ اللهِ منه بَدَا بلا كيفيةٍ قولًا) معناه أنَّ القُرْءَانَ مِن الله بَدَا أىْ ظَهَرَ أىْ أظهرَهُ اللهُ تعالى إنزالًا على نبيِّهِ ﷺ مِن غيرِ أنْ يكونَ اللهُ تعالى تلفَّظَ بهذه الألفاظِ المنزلةِ فليس المرادُ مِن كلمةِ (بَدَا) أنه خرج منه تلفظًا كما يخرج كلامُ أحدِنا مِن لسانه تلفُّظًا بعد أن كان ساكتًا كما تقول المشبهة بدليل قولِهِ (بلا كيفيةٍ) أىْ مِنْ غيرِ أنْ يكونَ كلامُهُ الذاتِىُّ حرفًا ولا صوتًا ومِنْ غيرِ أنْ يَسبقَ بعضُهُ بعضًا ويتأخرَ بعضُهُ عن بعض لأنَّ كلًّا مِن الحرفِ والصوتِ والسَّبْقِ والتأخُّرِ كيفيةٌ مِن الكيفيات.

فقولُنا القرءانُ كلامُ اللهِ له وجهانِ أىْ يُطلَقُ على وجهَيْنِ أحدُهُما الكلامُ الذاتِىُّ الذِى هو منزَّهٌ عن الكيفيةِ أىِ الهَيئةِ

---

(١) سورة المدثر/ءاية (٢٦).

(٢) سورة المدثر/ءاية (٢٥).

كالحرف والصوت والثانِى اللفظُ المُنَزَّلُ الذِى هو عبارةٌ عنِ الكلام الذاتِىّ الذِى هو صفةُ اللهِ تعالى ويدلُّ على هذا الوجهِ الثانِى قولُهُ تعالى فِى سورة الحاقة ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ حيث أضافَهُ إلى جبريلَ وجبريلُ حادثٌ فلو كان القرءان يُراد به حيثُ ذُكِرَ كلامُ اللهِ الذاتِىُّ لم يُضِفْهُ اللهُ تبارك وتعالى إلى جبريلَ الذِى هو المرادُ بالرسول الكريم لكن لما كان يصحُّ إطلاقُ القرءان على الوجهين جاز ذلك فقولُ المؤلف (منه بَدَا بلا كيفيةٍ قولًا) يُحتاجُ لفهمه على الوجه الصحيح إلى معرفة الفرق بين الوجهين فإنَّ المشبهةَ لَمَّا لم يعرفُوا ذلك مَرُّوا على هذه العبارة فأساءُوا فَهْمَها وظنُّوا أنَّ المؤلف رحمه اللهُ على عقيدتهم فقولُهُ (منه بَدَا) أفهم إثباتَ اللفظ المنزل أىْ أنه أنزله وليس بمعنى أنه ظهر منه كما يظهر مِن أحدنا إذا تكلم بكلامه الذى يحدثُ ثم ينقضِى وقولُهُ (بلا كيفية قولًا) إثباتٌ للكلام الذاتِىّ الذِى تَنَزَّهَ عنِ الكيفيةِ أىْ عنِ الصوت والحرف والاقتران بالزمن بأن يُبتدأ فِى وقتٍ ثم ينقضِى فِى وقتٍ فعبارةُ المؤلفِ دقيقةٌ لا يفهمها على وجهها إلا مَن فتح الله تعالى قلبه لفهم الحق على ما هو عليه.

والقرءانُ لفظٌ مشترك فتارةً يُطلق على كلام اللهِ عزَّ وجلَّ الذِى هو صفتُهُ والذِى ليس لغةً ولا حرفًا ولَا صوتًا ولا له ابتداءٌ أو انتهاءٌ ولا حادثًا على التعاقبِ ولا يتقطَّعُ ولا يُشبِهُ كلامَ البشَرِ وتارةً يُطلَقُ على القراءةِ التِى هِىَ مخلوقةٌ كما فِى قول الله تعالى فِى سورة الإسراء ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾(١) أىِ

(١) سورة الإسراء/ءاية (٧٨).

القراءةَ فِى صلاة الفجر وتارةً يُطلق على المصحف دُون القراءة كما فِى قولِ النبيِّ ﷺ لا تُسافروا بالقرءان إلى أرض العدوِّ اهـ نَهَى عن المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار صيانة له من الاستخفاف به ولم يرد به النَّهْىَ عنِ القراءةِ.

وقولُهُ (وأيقنُوا أنه كلامُ اللهِ تعالى بالحقيقة) معناهُ أَنَّ إطلاقَ القرءانِ على كلامِ اللهِ الذاتِيِّ حقيقةٌ وكذلكَ إطلاقُهُ على اللفظِ المنَزَّلِ حقيقةٌ فإطلاقُ القرءان على الكلام الذاتِيِّ حقيقةٌ عقليَّةٌ وحقيقةٌ شرعيةٌ، وإطلاقُهُ على اللَّفْظِ المنزل حقيقةٌ شرعيةٌ، وليس أيٌّ مِن الإطلاقَيْنِ مجازًا، فإذا ذُكر لفظُ القرءان مع قرينةٍ تَدُلُّ على الحدوث والحلول نحو أن يُقال قرأتُ جزءًا مِن القرءان أو نصف القرءان أو ثلثه أو ربعه يُحمل على القراءة والمصحف، وإذا ذُكر مطلقًا يحمل على الصفة الأزلية القائمة بالذات فهذا كما إذا قال الرجل (الله) مطلقًا عن القيد فإنَّهُ يُفهم من إطلاقه الذاتُ المقدَّسُ جلَّ جلالُهُ، وإذا قرنه بقرينة تدل على الحدوث نحو أن يقول (كتبتُ الله) أو (تلفظتُ الله) يُحمل على هذه الحروف المنقوشة والمقطعة ومن ذلك حديثُ ما أذن اللهُ لِشَىْءٍ كأَذَنِهِ لنبيِّ حَسَنِ التَّرَنُّم يتغنَّى بالقرءان اهـ

وتبَيَّنَ مِمَّا تقدَّمَ امتِناعُ أن يُقال القرءانُ مخلوقٌ على الإطلاق لِمَا فِى ذلك مِن إيهامِ مخلوقيةِ الكلامِ الذاتِيِّ.

ثمَّ إنَّ الناس فِى كلام الله تعالى ثلاث فرق

الفرقةُ الأُولَى أهلُ السنة يقولون إنَّ كلامه تعالى معنًى قائمٌ بذاته تعالى قديم منزه عن الحرف والصوت وما يأتِينا مِن الحروف والأصوات الدالَّةِ عليه على لسانِ الرُّسُلِ حادثٌ ولكن

نتجنب أنْ نطلقَ القولَ بأنَّ كلامَهُ تعالى حادثٌ ولو بقصدِ اللفظِ المنزَّلِ إلَّا مع البيانِ لحاجةِ التعلم والتعليم أدبًا منعًا للإيهام كما تقدَّمَ ونطلِقُ قولَ إنَّ كلام الله منزلٌ غير مخلوق تأسيًّا بالسلف الصالح وحذرًا مِن إيهامِ حدوثِ الكلامِ الذاتِيِّ أو إيهامِ نَفْيِ الكلامِ الأزلِيِّ.

والفرقة الثانية المعتزلة وهم لا يُثبتون كلام النفس.

والفرقةُ الثالثةُ الحشوية القائلون بأنه يتكلم بحرفٍ وصوتٍ قائم بذاته وهم قسمان قسم يلتزمون حلول الحوادث بذاته تعالى الله عن قولِهِم، وشرذمةٌ يقولون الحروف والأصوات قديمةٌ، وهؤلاء كأنهم لا يفهمون ما يقولون لأنَّا نعلم ضرورةً وحِسًّا بأن الكاف قبل النون وأنهما لا يَجتمعان فى زمنٍ واحدٍ ويلزمهم ما لزم النَّصارى فِى اعتقادهم أنَّ صفةً مِن صفاتِ اللهِ القديمةِ وهِىَ العِلم وُجِدَتْ بالمسيح فأثبتوا قِدَمَهُ وحدوثَهُ فِى ءَانٍ.

تنبيهٌ. مَن قال إنَّ الله يتكلم بصوت وقال إنه صوتٌ أزلىٌّ أبدىٌّ ليس فيه تعاقبُ الحروفِ ولا صفاتُ صوتِ المخلوقِ فلا يُكفَّر إن كانتْ نيته كما يقول وإلا فهو كافرٌ كسائر المشبهة. وأحاديثُ الصوت ليس فيها ما يُحتج به فِى العقائد، والحديثُ الذِى جاءَ فيه ذِكْرُ الصَّوتِ فِى صحيحِ البخارِيِّ مختلفٌ فِى قوةِ بعض رواته وهو عبد الله بن محمد بن عقيل وأورده البخارِىُّ بصيغة التمريض فقال (ويُذْكَرُ) فلا يكونُ مِنَ الأحاديثِ التِى يُحْكَمُ بصحتها لِمَجِيئِها فيه.

ثم إن اللفظ المنزل على سيدنا محمد ﷺ لم يتصرف فيه جبريل عليه السلام ولا سيدنا محمد ﷺ قال الغزنوى فى شرح

الطحاوية ليس للنبِيِّ ولا للملَك فيها أى فى الكتب المنزلة تصرف فى النظم ولا فِى المعنى اهـ ومن زعم أن القرءان الكريم من نظم جبريل أو من نظم سيدنا محمد ﷺ فقد كفر وأما قول الله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠﴾[1] يعنِى جبريل فالمراد به أن القراءة كانت فعل جبريل عليه السلام وأنه تلفظ بالعبارات المنزلة لتبليغها إلى سيدنا محمد ﷺ لا أنه نظمها وألف بعضها إلى بعض.

هذا حكم اللفظ المنزل وأما الكلام المعبَّر عنه بهذا اللفظ فهو صفة الله الذاتية التى لا يجوز عقلًا ولا نقلًا أن تشبه صفات البشر.

قال رحمه الله (**ومَن وصفَ الله بمعنًى مِن معانِى البشرِ فقد كفرَ**).

(**الشرحُ**) أنَّ صفاتِ البشر كثيرةٌ معلومةٌ وبعضُها صفاتٌ لغير البشر مِن ذَوِى الأرواح وبعضُها تشترك فيها الجمادات من أرض وسماء وأشجار وشمس وقمر وغير ذلك فَمَن وصف الله تعالى بوصفٍ من أوصاف البشر المحدثة فقد كَفَرَ لإثباتِهِ المماثلةَ بينه تعالى وبين خلقه وذلك مَنْفِيٌّ بالنصِّ وهو قوله تعالى فِى سورة الشُّورَى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[2] ومَنْفِيٌّ أيضًا بالقضية العقلية وهِىَ أنه لو كان متصفًا بصفة من أوصاف البشر لكان يجوزُ عليه ما يجوز على البشر مِن حدوث وفناء وتَطَوُّرٍ

(١) سورة الحاقة/ءاية (٤٠).

(٢) سورة الشورى/ءاية (١١).

أىْ تَنَقُّلٍ مِن حال إلى حال وتغيُّرٍ من حالة القوة إلى الضعف أو مِن صفة الحياة إلى الموت ومَن جاز عليه ذلك فلا يصلح أن يكون مُكَوِّنًا للحادثات التى تختلف عليها الصفات والأحوال.

وتعلَّقَ المجسمة بأنهم لم يجدوا فى الشاهد حيًّا قادرًا عالمًا فاعلًا إلا جسمًا قالوا فيوصف تعالى بأنه جسمٌ. وتعلُّقُهُمْ هذا باطلٌ فيقال لهم إنكم لم تجدوا فى الشاهد حيًّا قادرًا عالمًا فاعلًا إلا ما هو لحم ودم مُتَنَاهٍ مِن الجهات الست محلٌّ قابلٌ للآفات وللموتِ أفتشترطون هذا فِى الحقِّ تعالى فإن قالوا نعم فقد أظهروا الانسلاخ مِن الدين وإن قالوا لا أبطلوا دليلهم، وهكذا شأنُ الباطل يتعلقُ أهلُهُ بشبهاتٍ تتلاشى وتضمحل عند السَّبْرِ والتأمُّلِ. فثبت بالأدلة القاطعة أنَّ الله تعالى ليس بِعَرَضٍ ولا جَوْهَرٍ ولا جِسْمٍ وأنه لا مشابهةَ بينه وبين شَىْءٍ مِنَ المحدثات.

وأما حدُّ المماثلة فقالت الأشعرية إنَّ المِثْلَيْنِ هما غَيرانِ يَسُدُّ كلُّ واحد منهما مسدَّ صاحبه. وإنما قلنا (غيران) لأنَّ الشَّىْءَ لا يشبه نفسه ولا يماثله فدلَّ أنَّ ذلك بين المتغايرين وإنما يسدُّ كلُّ واحد منهما مسدَّ صاحبِهِ فِى وجهٍ مِن الوجوهِ وقد يذكرونَ المماثلة بين شيئين لا يسد أحدهما مسد الآخر بل يوجد بينهما مشابهةٌ فِى بعض الأوصاف وذلك لأنَّ المُمَاثلةَ فِى اللغةِ هِىَ المُشابهةُ.

قال رحمه الله (**فَمَنْ أبصرَ هذا اعتبرَ وعنْ مثلِ قولِ الكفارِ انزَجرَ وعَلِمَ أنهُ بصفاتِهِ ليسَ كالبشر**).

(**الشرحُ**) أنَّ هذا بيانٌ لقوله (ومن وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر) فقوله (اعتبر) أيِ اعتبر نفسه بالكفار القائلين بالمماثلة المستحقين لِسَقَرَ ليَكُفَّ عن مثل ذلك القول فيلزمه ما لزمهم من العذاب ولِيعرِفَ أنه يجب أن يعلم ويتيقن أنَّ الله تعالى بصفاته ليس كالبشر بصفاتهم لأنَّ صفاتِهِ قديمةٌ وصفاتِهِم مُحْدَثَةٌ ولا مشابهةَ بين القديم والحادث إذِ القديمُ ما لا ابتداء لوجوده والحادثُ ما لوجوده ابتداء. وقوله (أبصر) أراد به بصرَ القلب لا بصرَ العين كما فِى قولِهِ تعالى فِى سورة الحشر ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾.

ولِأَنَّ اللهَ تعالى لا يشبِهُ الخَلْقَ فإنه لا يتصف سبحانه بالهَيئة والحجمِ والصُّورةِ، وعبَّرَ بعضُ أهل السنة عن ذلك بقولهم إنَّ الله تعالَى مُنَزَّهٌ عن الكمية والكيفية كما ذكره صاحب القاموس فِى تفسير الهَيُّولَى، والكميةُ معناها الحجم أما الكيفيةُ فهى الصفات التى تقوم بالجرم أىْ بالحجمِ فهو تعالى منزَّهٌ عن كل ذلك، فإنَّ الكيفية إذا أضِيفَتْ إلى اللهِ تعالى بهذا المعنى كان ذلك تشبيهًا له بخلقه، ولكن قد تُستَعمَلُ الكيفية قليلًا مرادًا بها الحقيقة فليس فِى ذلك تشبيهٌ كبيتِ شعرٍ مِن البسيطِ الذِى يذكره ابنُ الجوزيِّ والزركشيُّ وغيرُهُما مِن أهل السنة وربما نُسِبَ إلى سيدِنا عَلِيٍّ رضِىَ اللهُ عنه

حقيقةُ العبدِ ليسَ العبدُ يُدركُها فكيفَ كيفيةُ الجبَّارِ فى القِدَم اهـ

وفِى روايةٍ (حقيقةُ النفس ليسَ العبدُ يدركها) اهـ فقوله (فكيف كيفية الجبار فِى القدم) اهـ معناه فكيف حقيقةُ الجبار.

ولِكلِّ ما تقدَّمَ قال أهلُ الحقِّ نَصَرَهُمُ اللهُ إنَّهُ سبحانه وتعالى ليس فِى جهةٍ. ورفعُ الأيدى والوجوه إلى السماء عند الدعاء تعبُّدٌ محضٌ كالتوجهِ إلى الكعبة فى الصلاة فالسماء قبلة الدعاء كالبيت الذِى هو قبلة الصلاة. فإذا قال قائلٌ (نفيُهُ عن الجهات الست إخبارٌ عن عدمه إذ لا عدم أشدُّ تحقيقًا من نفى المذكور عن الجهات الست) اهـ قلنا النَّفْىُ عن الجهات السِّتِّ إنما يكون إخبارًا عن عَدَمِ ما لو كانَ لَكَانَ فِى جهةٍ لا نَفْىُ ما يستحيلُ عليه أن يكونَ فِى جهةٍ.

وكذا نقول إنه تعالى لا يتصف باللون والطعم والرائحة لأنها من أمارات الحَدَثِ.

قال رحمه الله (**والرؤيةُ حقٌّ لأهلِ الجنةِ بغيرِ إحاطَةٍ ولا كيفيَّةٍ كما نطقَ بهِ كتابُ ربِّنا** ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[١] **وتفسيرُهُ على ما أرادَهُ الله تعالى وعلِمَهُ. وكلُّ ما جاءَ فى ذلك مِنَ الحديثِ الصحيحِ عنِ الرسول ﷺ فهُوَ كما قالَ ومعناهُ على ما أرادَ لا ندخُلُ فى ذلكَ مُتأوِّلينَ بآرائِنا ولا مُتَوَهِّمينَ بأهوائِنا فإنَّهُ ما سَلِمَ فى دينهِ إلا مَن سلَّمَ للهِ عز وجل ولرسولِهِ ﷺ وردَّ عِلْمَ ما اشتبهَ عليهِ إلى عالِمِهِ**).

(**الشرحُ**) أنَّ هذا الفصلَ هو فِى إثباتِ رؤية اللهِ فِى الآخرة

(١) سورة القيامة/ ءاية (٢٢-٢٣).

أىْ فِى أنَّ المؤمنين يرون الله فِى الآخرة وأنَّ هذا حقٌّ يجب الإيمان به. يرونه بأبصارهم من غير إحاطة علمٍ به عز وجل ومن غير مسافة بينهم وبين الله لا كما يُرى المخلوق لأنَّ الذِى يكون بينه وبينك مسافة يكون محدودًا إما أن يكون أعظم جرمًا منك أو أصغر منك أو مثلك وهذا كله لا يجوز على الله، فلذلك أهل السنة يثبتون رؤية الله فى الآخرة من غير تشبيهٍ ولا جهةٍ ولا مسافةٍ. المخلوقُ إذا رأيتَهُ تراه فِى جهةِ أمامِكَ أو فى جهةِ خلفِكَ أو فِى جهةِ يمينِكَ أو فِى جهةِ يسارِكَ أو فِى جهةِ فوقِكَ أو فِى جهةِ تحتِكَ أو فِى جميع الجهات كما إذا كنت ضمن غرفة فإنها محيطةٌ بك، هذه رؤيةُ المخلوقِ كما نصَّ على هذا الإمام أبو منصور الماتريدىُّ وغيره أمَّا رؤيةُ الله فليستْ كما يُرَى المخلوقُ.

ورؤيةُ الله بالأبصار للمؤمنين فِى الآخرة بعد دخولهم الجنة جائزة عقلًا وثابتةٌ سمعًا أىْ لا يمنعها العقلُ وأثبتها القرءان والحديثُ ولذلك قال أهل الحق نصرهم الله إنَّ اللهَ تعالى يُرَى فِى الآخرةِ لا فِى مكان ولا باتصالِ شُعَاعٍ خلافًا للمشبهة الذين توهموا الرؤية بمقابلة وجهة اتباعًا لأهوائهم وخلافًا للمعتزلة والفلاسفة والخوارج الذينَ ظنوا أنَّ العقلَ يُحيل رؤيةَ الله فتركوا الأخذ بقولِهِ عزَّ وجلَّ فِى سورة القيامة ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ فإنه يُثبت أن الله يُرَى فِى الآخرة وعمدوا إلى ادعاء تأويل الآية فقالوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ أىْ نعمةِ ربِّها ﴿نَاظِرَةٞ﴾ أىْ منتظرةٌ وهذا تحريفٌ للمعنَى وخروجٌ عن الظاهرِ بلا دليلٍ فضلًا عن أنَّ الآخرةَ دارُ نعيمٍ وليستْ للأتقياءِ دارَ انتظارٍ.

واستدل أهل الحقّ على قولِهِمْ بوجوهٍ غيرِ ما تقدَّمَ منها أن موسى سأل ربه الرؤية كما فِى قولِ اللهِ فِى سورةِ الأعرافِ إخبارًا عنه ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾(١) فلو كانت رؤية الله لا تجوز أىْ لو كانت مستحيلةً عقلًا أو شرعًا لم يسأل موسى ربَّهُ أن يراه لأنَّ موسى نبىٌّ رسولٌ فيستحيلُ عليه أن يجهل ما الذِى يليقُ بالله وما الذِى لا يليق بالله.

ومنها أنَّ الله أخبرنا فِى القرءان بأنه تَجَلَّى للجبلِ قال تعالى ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾(٢) أىْ فلمَّا رأَى الجبلُ اللهَ تعالى بأنْ جعلَ اللهُ تعالى فيه إدراكًا ومعرفةً فرأى اللهَ برؤية خلقها الله فيه انْدَكَّ أىْ لم يتحملْ هيبةَ الرؤيةِ فصار دكًّا أىْ تَحَطَّمَ وصارَ كالأرضِ، فإذا كان الجبلُ الذِى هو مِنَ الجماداتِ جاز أن يَرَى الله فكيف لا يجوز أن يراه المؤمنون فِى الآخرة دار البقاء.

ثم إنَّ الأحاديثَ التِى وردت فى الرؤية ثابتةٌ رُواتها ثقاتٌ وأسانيدها صحيحةٌ مشهورةٌ، ومنها حديثُ الشيخينِ وغيرِهِما أَنَّ النَّاسَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ قَالَ هَلْ تُمَارُونَ فِى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَهَلْ تُمَارُونَ فِى الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا قَالَ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ اهـ أىْ مِن غيرِ شَكٍّ هل الذِى يرونه هو الله تعالى أو غيرُهُ لأنهم يرونَ مَن ليس كمثلِهِ شَىْءٌ. وفِى بعضِ الرواياتِ لا تضَامونَ اهـ أىْ ترونَهُ مِن دون تعبٍ ولا مشقةٍ وظاهرٌ أنّه لا يعنِى أنه يُشبه القمر ليلة البدر.

---

(١) و(٢) سورة الأعراف/ءاية (١٤٣).

أما رؤيةُ الله تبارك وتعالى فِى المنام فقد اختلف علماء أهل السنة فى ذلك على ثلاثةِ أقوالٍ فقال بعضهم لا يجوز أن يُرى الله فِى المنام لأنَّ ما يُرَى فِى المنام خيالٌ ومثالٌ والله مُنَزَّهٌ ومتعالٍ عنِ الخَيال والمِثال.

وقال بعضُهُم يجوزُ أن يراهُ الرائِى فِى المنام بلا كيفيةٍ ولا جهةٍ ومقابلةٍ وخيالٍ ومثالٍ كما هو اعتقادُنا فإذا قال قائلٌ أنا رأيتُ اللهَ فِى المنام لا يُشبه شيئًا لم يكن بينِى وبينه مسافةٌ ولا مقابلةٌ ولا مدابرةٌ رأيتُهُ لا لونَ له ولا شكلَ ولا هيئةَ صحَّتْ رؤياه. وقد رُوِىَ عن كثير من السلف منهم أبو يزيد البِسطامِىُّ وغيرُهُ أنهم رَأَوُا اللهَ فِى المنام، أما أبو يزيدَ فقد رُوِىَ أنه قال رأيتُ ربِّى أى فِى المنام فقلت له كيف الطريق إليك فقال اتْرُكْ نفسك وتعالَ اهـ معناه تَخَلَّ عن هواك ثم اجتهدْ فِى عبادتِى فبهذا يكون العبد واصلًا إلىَّ وليًّا وحبيبًا من أحبابِى.

وقال بعضهم وهم الفريق الثالث يجوز أن يُرَى اللهُ فِى المنام على شكلٍ ومثالٍ وليس معنى ذلك أنَّ اللهَ يتصور للعبد ويتمثل فِى حال الرؤيا بذلك المثال إنما ذلك يعود إلى حال الرائِى من حيث التأويلُ فعلى هذا لا يُتَسَرَّعُ بالإنكار على مَن يقول رأيتُ الله فِى المَنام بشكل كذا بل يُنظر فِى حالِهِ فإنْ كان يعتقدُ فِى حال يقظتِهِ أنَّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن الشكل والهيئة والصورة والحجم واللون وكلِّ ما هو مِن صفاتِ الخَلْقِ ثم قال رأيتُهُ فِى المنام بصورةِ كذا ولم يعتقدْ أنَّ اللهَ تَشَكَّلَ بغير صفتِهِ إلى هذا الشكلِ فلا نُنْكِرُ عليه ولا نُكَفِّرُهُ أما إنِ اعتقد أنَّ اللهَ تصور وتشكل فأتاه فى المنام وهو متشَكِّلٌ فهذا يُكفَّر.

وأما الحديثُ الذِى رواه الترمذىُّ أنَّ النبىَّ ﷺ قال أتانِى رَبِّى فِى أحسن صورة اهـ فقد قال الإمام الجليل الحافظ الفقيه محمد بن نصر المَرْوَزِىُّ هذا الحديث لا يُثبته أهل المعرفة بالحديث اهـ

وقولُ المؤلفِ رحمه الله تعالى (لا ندخُلُ فى ذلكَ مُتأوِّلينَ بآرائِنا) أنَّنا لا نتأوَّلُ الآياتِ والأحاديثَ الواردةَ فِى الرؤيةِ بمجرَّدِ الرأىِ مِن غيرِ دليلٍ عقلىٍّ قطعىٍّ ولا سمعىٍّ ثابتٍ كما فعلَ المعتزلةُ فيها ولا يعنِى بذلكَ ردَّ تأويلِ أهلِ السنةِ لآياتٍ وأحاديثَ متشابهاتٍ فِى الصفات تأويلًا تفصيليًّا كتأويلهم استواءَ الله على عرشه بالقهر ولا يعنِى بذلك ردَّ التأويلِ الإجمالِىِّ كقول مَن قال فِى ءَايَةِ الاستواء (اسْتَوَى بلا كيفٍ) وفِى حديثِ النزول (نزولٌ بلا كيفٍ) فلا يصح حملُ عبارة الطحاوىِّ هذه على أنه يَنْفِى التأويلَ الإجمالىَّ أو التفصيلىَّ لأنَّ عباراتِهِ فِى عقيدته هذه صريحةٌ فِى نَفْىِ التَّحَيُّزِ فِى المكان عَنِ اللهِ أو ما أَشْبَهَ ذلك مِن لوازم الجسمية وهذا يستلزمُ سلوكَهُ مسلكَ التأويلِ بل هو قد صرَّحَ بالتأويلِ فِى مثلِ قوله رحمه الله بلا كيفية اهـ

فالسلامةُ فِى الدين تكون بالتسليم لله ولرسوله ﷺ أى باعتقاد أن ما جاء فى الشرع من أمور الدين فهو على حسب ما أراد الله تعالى ورسوله وليس مبنيًّا على الوهم أو مجرد الرأى أو ما جرت به العادة بين المخلوقات وبرجوع الشخص فِى ما اشتبه عليه فَهْمُهُ إلى مَنْ يَعْلَمُهُ وبالتَّفَصِّى أىِ الابتعادِ عن حَمْلِ المُتَشَابِهِ المُوهِمِ ظاهره للتجسيم ولصفاتِ المخلوقاتِ على هذا المعنى الظاهرِ واعتقادِ أنَّ له معنًى يليق بالله تعالى ثم اللجوءِ إلى العلماء الكُمَّل الراسخين ليستفيد منهم التأويل الصحيح والتفسير الصائب.

قال رحمه الله (**ولا تَثبُتُ قدمٌ فِى الإسلامِ إلا على ظهرِ التسليمِ والاستسلامِ**).

(**الشرحُ**) أنَّ هذا التعبيرَ مِن باب المجاز بالاستعارة لأنَّ القدم الحسيَّ هو ما يُوضَعُ على ظهرِ الشَّىْءِ حقيقةً والمرادُ بالاستسلامِ الانقيادُ لأوامر الله ونواهيه فالمعنَى المقصودُ أنَّه لا يصحُّ الثباتُ على الإسلامِ إلا بالتسليمِ للهِ تعالى وعدمِ الاعتراضِ عليه وعدمِ وَصْفِهِ بما لا يليقُ به وعدمِ محاولةِ معرفةِ حقيقتِهِ تعالى بتخيُّلِهِ وتوهُّمِهِ مع تسليمِ الأمرِ المُشْتَبِهِ عِلْمُهُ إلى عالِمِهِ.

قال رحمه الله (**فمنْ رامَ عِلْمَ ما حُظِرَ عنهُ علمُهُ ولم يقْنَعْ بالتسليمِ فهمُهُ حَجَبهُ مرامُهُ عن خالِصِ التوحيدِ وصافِى المعرفةِ وصحيحِ الإيمان**).

(**الشرحُ**) أنَّ هذه الجُمَلَ مقرِّرَةٌ لمضمون الكلام السابق أىْ فَمَنْ رامَ أىْ طلبَ أنْ يعلمَ ما مُنع عنه علمُهُ ولم يَقنع بتسليمِهِ إلى عالِمِهِ بل سلكَ غيرَ الطريقِ المستقيمِ وأرادَ أنْ يصلَ إلى أسرارِ الربوبيةِ[١] حجبَهُ مَرَامُهُ أىْ مطلوبُهُ عنَ خالص التوحيد ومنعَهُ عن صافِى المعرفة أىِ التِى لا يشوبها كَدَرٌ فإنَّ خلوصَ التوحيد وصفاءَ المعرفةِ مشروطان بتسليمِ ذلك إلى اللهِ عزَّ وجلَّ.

---

(١) قوله (أسرار الربوبية) أىْ ما لا تحيطُ به عقولُ المخلوقينَ ولم يجعلِ الله تعالى للخلقِ سبيلًا إليه وذلك كما قال سيدنا علِىٌّ لِمَنْ سألَهُ عن القدرِ سِرُّ اللهِ فلا تتكلَّفْ اهـ أىْ إنَّ القدرَ بمعنَى التقديرِ صفةٌ للهِ تعالى لا يُمكنُ للمخلوقِ الوقوفُ على حقيقتها فلا تُحاوِلْ ذلك. سمير.

قال رحمه الله (**فيتذبذبُ بينَ الكفرِ والإيمانِ والتصديقِ والتكذيب**).

(**الشرحُ**) أنَّ مَنْ يُحاولُ الوصولَ إلى ما حُظِرَ عليه عِلْمُهُ ولم يُسَلِّمْهُ إلى عالِمِهِ يكونُ مضطربًا مؤمنًا ببعضٍ ما أتَى به نَبِيُّ الله عليه الصلاةُ والسلامُ وكافرًا ببعضٍ والإيمانُ لا يكون مقبولًا إلا بالإيمان التام الذِى ليس فيه تجزئةٌ من حيثُ التصديقُ بكلِّ ما جاء به الرسولُ ﷺ أما أن يصدق ببعضٍ ويكذِّبَ ببعضٍ فلا يكون إيمانًا مقبولًا وإنْ سُمِّىَ ذلك إيمانًا جزئيًّا أىْ إيمانًا بجُزْءٍ مِن حيث اللغة(١).

قال رحمه الله (**والإقرارِ والإنكارِ**).

(**الشرحُ**) أىْ ويتذبذب أيضًا بين الإقرار بالإيمان وبين إنكاره.

قال رحمه الله (**مُوَسْوِسًا تائِهًا شاكًّا**).

(**الشرحُ**) أنَّ هذا تأكيدٌ لما قالَهُ قَبْلُ أىْ فيكون مُوَسْوِسًا شاكًّا فِى الحقِّ تائهًا عن طريقِهِ غيرَ سالكٍ له بل زائغًا عنه سالكًا طريقَ الباطلِ.

---

(١) قوله (وإنْ سُمِّىَ ذلك إيمانًا جزئيًّا أىْ إيمانًا بجُزْءٍ مِن حيث اللغة) مثالُ ذلك قولُهُ تعالى فِى سورةِ البقرة ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أىْ أفتُصَدِّقُونَ ببعضِهِ ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ﴾ أىْ فترُدُّونه ولا تُصَدِّقُونَ به ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ﴾ فلا يكونُ التصديقُ الذِى صدَّقوه للبعضِ مقبولًا ولا مُنْجِيًا لهم يومَ القيامة. سمير.

قال رحمه الله (**لا مؤمنًا مصدقًا ولا جاحدًا مُكَذِّبًا**).

(**الشرحُ**) أنَّ هذا تفسيرٌ لبعض ما مَضَى أىْ إنه لا يكونُ مؤمنًا بالكُلِّ ليكونَ إيمانُهُ مقبولًا كشأنِ المصدِّقِ المقِرِّ ولا مكذِّبًا بالكُلِّ كشأنِ الجاحدِ المعانِدِ أعاذنا اللهُ مِن مثلِ هذه الحالِ.

قال رحمه الله (**ولا يصحُّ الإيمانُ بالرؤيةِ لأهلِ دارِ السلامِ لمن اعتبرها منهُم بوهمٍ أو تأوَّلَهَا بفهمٍ إذ كان تأويلُ الرؤيةِ وتأويلُ كلِّ معنًى يضافُ إلَى الرُّبوبيةِ بتركِ التأويلِ ولزومِ التسليمِ وعليهِ دينُ المسلمين**).

(**الشرحُ**) دارُ السلام هى الجنة سميت بذلك لأن فيها السلامة من كل ءافةٍ ونكدٍ ومزعِجٍ فمَنِ اعتبرَ رؤيةَ المؤمنين وهم فِى الجنةِ لربهم تعالى بوهمِهِ أى كما ذهب إليه المشبهة مِن إثباتِ الرؤية كما يُرى المخلوق فى جهةٍ ومسافة فلم يصِحَّ إيمانُهُ بالرؤية، وكذلك الذين تأولوا الرؤية بأفهامهم الخاصةِ التابعةِ لآرائهم كما زعمتِ المعتزلة أنَّ قوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[1] معناهُ انتظارُ النعمة لم يصحَّ إيمانُهُم بها، وإنما الإيمانُ بها هو ما قرَّرَهُ أهلُ السُّنَّةِ مِن إثباتِ رؤيةِ أهل دار السلام لربهم لا كما يُرَى المخلوقُ بل بلا جهةٍ ولا مسافةٍ ولا مقابلةٍ ولا مدابرةٍ ولا تشبيهٍ للهِ بخلقِهِ.

وهذا ليس مِن التأويل الذِى منع منه الإمامُ أبو جعفر بل ذلك ما نصَّ عليه الإمامُ أبو منصورٍ الماتريديُّ الذِى كانَ

(١) سورة القيامة/ءاية (٢٣).

معاصِرَهُ وأعرفَ الناسِ بمذهبِ الإمامِ أبِى حنيفةَ والمتكلمَ فِى زمانِهِ على لسان الحنفية وإنما قصدُهُ بالتأويلِ المَنْفِىّ المردودِ ما ذهب إليه المبتدعةُ المعتزلةُ والمشبهةُ وأمثالُهُم. ولا يُؤْخَذُ مِن كلام أبِى جعفرٍ الطحاوىِّ هذا أنه لا يَرَى تأويلَ ما وردَ فِى القرءانِ والأحاديثِ الصحيحةِ مِنَ المُتَشابِهِ فِى الصفاتِ الذِى يُوهِمُ ظاهرُهُ خلافَ التنْزيهِ. والتأويلُ قسمان تأويلٌ إجمالِىٌّ وتأويلٌ تفصيلِىٌّ فالتأويل الإجمالىُّ هو أن يُقالَ فِى ءَايَةِ الاستواءِ مثلًا (استوى بلا كيفٍ) وأنْ يُقالَ فِى حديثِ النُّزولِ (ينزل بلا كيف) وأمَّا التفصيلِىُّ فيكونُ بتعيينِ المَعْنَى المرادِ على ما يوافقُ الشرعَ واللغةَ فيُقالُ فِى ءَايةِ الاستواءِ (قهرَ العرشَ وحفظَهُ وأبقَاه) ويقالُ فِى حديثِ النُّزولِ هو (نزولُ رحمته) أو (نزول الملَكِ بأمرِهِ).

ويدُلُّ على كونِ مرادِ الطحاوىِّ ليس نَفْىَ مطلقِ التأويلِ قولُهُ فِى مسئلة الكلام (منه بَدَا بلا كيفيةٍ قولًا) لأن هذا تأويلٌ فلولا أنه يَرَى التأويل فِى الجملة لم يَقُلْ (بلا كيفيةٍ قولًا). وكيف يُظنُّ بالطحاوىِّ أنه يَنْفِى التأويلَ مطلقًا وقد قال هو (ومَن وصف الله بمعنًى مِن معانِى البشر فقد كفر) أليس هذا معناه نفى الحركة والسكون والتنقل وغير ذلك من صفات البشر عن الله. وإنما يتوجه كلامُ الطحاوىِّ إلى تأويلاتِ أهلِ الأهواء فإنهم يؤولون بآرائهم التِى لا تستند إلى نظرٍ عقلِىٍّ صحيحٍ ولا إلى فهمٍ صحيحٍ للمنقولِ الثابتِ.

وكيف يُظَنُّ بالطحاوىِّ أنه يَمنع ويُقَبِّحُ التأويلَ وقد ارتكبَهُ السلفُ والخلفُ فَمِنَ السلف مجاهدٌ تلميذ عبد الله بن عباس

أوَّل وَجْهَ اللهِ فِى قولِهِ تعالى فِى سورةِ البقرةِ ﴿فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾(١) بِقِبلةِ اللهِ رواهُ البيهقىُّ فِى كتاب الأسماء والصفات، وأوَّلَ الإمامُ أحمد بن حنبل المَجِىءَ المذكورَ فِى قوله تعالى فِى سورة الفجر ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾(٢) بأنه مَجِىءُ قدرته أىْ ءَاثارِ قدرته العظيمة رواه البيهقىُّ وابنُ الجوزِىّ كلٌّ فِى كتابِهِ فِى مناقبِ الإمامِ أحمدَ وهذا دليلٌ على أنَّ الإمامَ أحمدَ لم يكنْ يعتقدُ فِى الله الحركة والسكون لأنه لو كان يعتقد ذلك ما أوَّلَ وأنَّ انتسابَ المجسمةِ إلى الإمامِ أحمدَ واعتزازَهُمْ به مجردٌ عن الحقيقة، وأوَّلَ البخارىُّ فِى تفسير سورة القصص مِن كتاب التفسير فِى صحيحه قولَهُ تعالى ﴿كُلُّ شَىۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾(٣) بأنَّ معناهُ إلا مُلْكَه اهـ فهذا كلُّهُ مِن التأويلِ التفصيلِىّ الواردِ عن السلفِ وأمَّا الإجمالِىُّ فذَكَرَهُ ما لا يُحصَى مِنهم فادعاءُ بُعْدِ السلفِ عن التأويلِ افتراءٌ عليهم وشذوذٌ عن منهاجهم.

قال رحمه الله (**ومَنْ لم يَتَوَقَّ النَّفْىَ والتشبيهَ زلَّ ولم يُصِبِ التنزيهَ فإنَّ ربَّنا جلَّ وعَلا موصوفٌ بصفاتِ الوحدانيةِ منعوتٌ بنعوتِ الفردانية**).

(**الشرحُ**) أنَّ من لم يتوقَّ النَّفْىَ والتشبيهَ أىْ مَنْ لم يبتعدْ فِى اعتقاده عنِ التعطيلِ وعنِ التشبيهِ أىْ تشبيهِ الله بخلقه فإنه يَزِلُّ أىْ يَضِلُّ عنِ الطريقِ السَّوِىّ ولا يصيبُ التَّنْزيهَ أىْ لا يكونُ اعتقادُهُ مطابقًا لِتَنْزِيهِ اللهِ تعالى عنِ النُّقْصَانِ.

(١) سورة البقرة/ءاية (١١٥).
(٢) سورة الفجر/ءاية (٢٢).
(٣) سورة القصص/ءاية (٨٨).

وقولُ المؤلف (موصوفٌ بصفات الوحدانية) ردٌّ لقول المعطلةِ ويُراد بهم هنا المعتزلةُ والفلاسفةُ لأن المعتزلة تقول إن الله تعالى ليس له صفةٌ قائمةٌ بذاتِهِ أيْ ليس له علمٌ هو متصفٌ به ولا قدرةٌ هو متصفٌ بها ولا إرادةٌ هو متصفٌ بها ولا سمعٌ ولا بصرٌ ولا كلامٌ هو متصفٌ بذلك إنما تقولُ هو عالم بذاته ولا تقول عالم بعلمٍ أزليٍّ أبديٍّ وتقولُ حيٌّ لذاته ولا تقول حيٌّ بحياةٍ أزليةٍ أبديةٍ وتقولُ قادرٌ بذاتِهِ ولا تقول إنه قادر بقدرةٍ وتقولُ شاءٍ بذاتِهِ ولا تقولُ شاءٍ بمشيئةٍ أيْ مريدٌ بإرادةٍ وكذلك جميعُ الصفات هم لا يَرَون أنها صفات ثابتة للذات المقدس أزلًا وأبدًا، وكذلك الفلاسفةُ كانوا يقولون بمثل هذا القول مِن نَفْيِ الصِّفاتِ بل يزيدونَ فِى الفسادِ على ما قال المعتزلةُ مِمَّا يضيقُ المقامُ عن ذِكْرِهِ. وأما أهلُ السُّنَّةِ فيُثبتونَ صفاتِ الكمالِ اللائقةِ باللهِ له تعالى كما جاءتْ به النصوصُ ويقولونَ إنها قائمةٌ بذاتِهِ سبحانه ليستْ هِىَ عينَ الذاتِ وليستْ هِىَ غيرَهُ وهذا معنى تجنب التعطيل.

وقوله (منعوتٌ بنعوتِ الفردانيَّةِ) تأكيدٌ للجملةِ التِى قبلَها فإنَّ النَّعْتَ والصفةَ بمعنًى واحدٍ والوحدانيةَ والفردانيةَ كذلك.

فائدةٌ. صفةُ الله تعالى ليست هِىَ اللهَ أيْ ليستْ هِىَ عينَ الذاتِ مِن حيثُ المفهومُ بل هِىَ معنًى قائمٌ بذات الله تعالى بلا ابتداء ولا انتهاء، ويستحيل أن تكون غير الذات لأنها لو كانت غير الذات لصح وجود الذات بدونها لأنَّ مقتضَى كونِها غيرَ الذات أن يصح مفارقة أحدهما الآخر كصفات الخلق فإنه يصح وجود الجسم الأبيض ووجود الجسم المتحرك بدون صفة

البياض وبدون صفة الحركة، ولا يجوز عقلًا أن تفارق صفاتُ اللهِ تعالى ذاته لأنَّ ذلك ينافِى القِدَمَ.

ولا يقال فِى حق الله تعالى إن صفاته بعضُ ذاتِهِ، ولا يقال إن صفاتِهِ تعالى حالَّةٌ فيه ولا متصلةٌ به وإنما يقال قائمة بذاته بمعنى أنها ثابتة لذاته من دون بعضية ولا جزئية ولا حلول.

قال رحمه الله (**ليسَ فِى معناهُ أحدٌ مِنَ البرية**).

(**الشرحُ**) أنَّ البريةَ الخَلْقُ والمرادُ أنه سبحانه لا يُشبه شيئًا مِن العالم ولا يتَّصِفُ بصفةٍ من صفاتِهِ، وقد مرَّ قوله ومَن وصفَ اللهَ بمعنًى مِن معانِى البشر فقد كفر اهـ وأعاد هنا هذه المسئلةَ بمعناها لكن من غير ذكر التكفير إنما مقتصرًا على التنصيص على نَفْيِ صفاتِ الخلقِ عنه.

قال رحمه الله (**وتعالى عنِ الحدودِ والغاياتِ والأركانِ والأعضاءِ والأدوات**).

(**الشرحُ**) أنَّ الحدَّ معناه نهاية الشَّىْءِ، والأجرامُ كلُّها لها حدٌّ فالعرش والكرسيُّ والجنة والنار والسموات والأرضون كلٌّ له مساحة لكن نحن البشر لا نعلم مساحةَ العرشِ كم هِىَ ولا مساحةَ الكرسيِّ ولا السمواتِ السبعِ ولا الجنةِ ولا جهنَّمَ وليس معنى نَفْيِ الحَدِّ عن الله أنه مُمْتَدٌّ إلى غير نهاية فَلْيُحْذَرْ هذا التوهمُ.

وأما الغاياتُ فجمعُ غايةٍ، والغايةُ ما ينتهِى إليه الشَّىْءُ.

والأركانُ جمعُ ركنٍ ومعناه الجانبُ فالله تعالى مُنَزَّهٌ عن أن يكون له جوانب لأنَّ ذا الأركان محدودٌ لا محالة.

والأعضاءُ أجزاءُ الحيوانِ التِى يتركَّبُ منها جمعُ عُضْوٍ وهو الجزءُ مِن الحيوانِ الذِى يختصُّ باسم يتميَّزُ به عن غيرِهِ والمرادُ بالحيوانِ ذُو الرُّوحِ فاللهُ مُنَزَّهٌ عن أنْ يكونَ مركَّبًا من أعضاءٍ كالإنسان وغيره من ذوِى الأرواح. وقال بعضُهُم المرادُ بالأعضاءِ هنا الأجزاءُ الكبيرةُ مِن البدنِ لأنه عطفَ عليها الأدواتِ جمعُ أداةٍ وهِىَ الأجزاء الصغيرةُ كاللسان والأضراس فاللهُ تعالى لا يجوزُ أن يتصفَ بالأعضاءِ مطلقًا صغيرةً كانتْ أو كبيرةً. وفسَّرَ بعضهم الأدواتِ بالآلات التِى يستعين بها الإنسان فِى تحقيق أفعاله كآلات البَنَّاء وذلك لما عُلِمَ مِن أنَّ اللهَ فاعلٌ بلا علاج لا يحتاج إلِى مزاولةٍ بالحركاتِ والسكناتِ والآلاتِ بل يخلقُ ما يشاءُ بدون ذلك فما أراد فى الأزل أن يدخل فى الوجود يُوجِدُهُ ويُكَوِّنُهُ بتكوينِهِ الأزلِىّ.

قال رحمه الله (**لا تحويه الجهاتُ الستُّ كسائر المُبْتَدَعاتِ**).

(**الشرحُ**) أنَّ اللهَ تعالى لا تَحْوِيهِ الجهاتُ السِّتُّ كما تحوِى جميعَ المخلوقات إذِ المخلوقاتُ لا تخلو عن التحيز فِى إحدى الجهاتِ السِّتِ لأنَّ الحادث لا بدَّ أن يكونَ بمكانٍ.

قال أهل الحق إنَّ الله ليس بمتمكن فِى مكان أىْ لا يجوز عليه المماسة للمكان والاستقرارُ عليه. ومعنَى المكان الفراغ الذى إذا حلّ فيه الجرم شغلَ غيرَهُ عن ذلك الفراغ. كالشمسِ مكانُها الفراغ الذى تسبح فيه. وعند المشبهة والكرامية والمجسمة اللهُ متمكن على العرش وتعلقوا بظاهر قوله تعالى فِى سورة طه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ فقالوا الاستواء الاستقرار وقال بعضهم الجلوس، والجلوس فى لغة العرب

معناه تماسُّ جسمين أحدهما له نصفٌ أعلى ونصفٌ أسفلُ، فمن قال إنه مستوٍ على العرش استواءَ اتصالٍ أيْ جلوسٍ أو قال استواؤه مجرد مُمَاسَّة من غير صفة الجلوس فهو ضالٌّ وكذلك الذين قالوا إنه مستوٍ على العرش مِن دون مماسَّةٍ إنما يحاذيه مِن فوقٍ أيْ كما تحاذِى أرضَنَا السماءُ فهؤلاء أيضًا ضالون، والتفسير الصحيح تفسيرُ مَن قالَ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ قهر لأن القهر صفة كمال لله تعالى هو وصف نفسه به فقال تعالى فِى سورةِ الرعد ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ۝١٦﴾ فيصح تأويل الاستواء بالاستيلاء وإن كانت المعتزلة وافقت أهل السنة فِى ذلك.

وأقبح هذه الاعتقادات الفاسدة اعتقادُ أن الله تعالى جالسٌ على العرش أو واقفٌ عليه لأنَّ فيه جَعْلَ الله تعالى محمولًا للعرشِ والعرشُ محمولٌ للملائكة فالملائكةُ على هذا الاعتقادِ قد حملوا الله تعالى، فعلى قول هؤلاء يلزم أن يكون الله محمول حاملٍ ومحفوظ حافظٍ وهذا ما لا يقوله عاقل.

قال رحمه الله (**والمعراجُ حقٌّ وقد أُسْرِىَ بالنبيّ ﷺ وعُرِجَ بشخصِهِ فِى اليقظةِ إلى السماءِ ثمَّ إلى حيثُ شاءَ اللهُ مِنَ العُلَا وأكرمهُ الله بما شاءَ وأوحَى إليهِ ما أوحَى** ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾[1] **فصلى الله عليه وسلم فِى الآخرةِ والأُولى**).

(**الشرحُ**) أنَّ العروج هو الصعود، ويُقال عَرَجَ يَعْرُجُ عُرُوجًا، والمِعراج بالكسر شِبْهُ السُّلَّمِ، والأصلُ فِى ذلك قولُهُ تعالى فِى

(١) سورة النجم/ ءاية (١١).

سورة الإسراء ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾(١) فهذه الآيةُ أثبتت الإسراء أىْ سَيْرَ الرسولِ ﷺ مِن مكة إلى المسجد الأقصى فِى الليل ثم أشار اللهُ بقوله ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ إلى المعراج أيضًا لأنَّ الآياتِ لم يُقَيِّدْهَا بالآياتِ التِى فِى الأرض لكنه لم يصرح به القرءان إنما المصرح به فى القرءان هو الإسراء لذلك قال بعض أهل العلم منكر الإسراء يكفر ومنكرُ المِعراج لا يكفر.

ثم عند أهل الحق أن الإسراء والمعراج كلاهما كانا فِى اليقظة بشخصِهِ أىْ بِرُوحِهِ وجسدِهِ ﷺ.

والثابتُ الصحيحُ أنَّ النبىَّ ﷺ رأى ربَّهُ بفؤاده لا ببصره تلكَ الليلة والدليلُ على ذلك أنَّ أبا ذَرٍّ الغِفارىَّ رَضِىَ الله عنه نَفَى أنْ يكونَ رَءَاهُ بِعَيْنِهِ وأنَّ ابنَ عباسٍ ثبتَ عنه أنه قال رَءَاهُ بفؤاده مرتين اهـ

قال رحمه الله (**والحوضُ الذِى أكرمَهُ الله تعالى بِهِ غياثًا لأمتِهِ حقٌّ**).

(**الشرحُ**) أنه يجب الإيمانُ بالحوض الذِى يشرب منه المؤمنون يوم القيامة قبل دخول الجنة وذلك لقوله تعالى فِى سورة الكوثر ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ وهو نهرٌ أصلُهُ فِى الجنة يصبُّ فِى مكانٍ يُسَمَّى الحوضَ خارجَ الجنة يشرب منه المؤمنون قبل دخولهم الجنة لا يظمأ مَن شرب منه أبدًا وإنما يَشربون بعد دخول الجنة تلذذًا.

(١) سورة الإسراء/ءاية (١).

ومعنى (غِيَاثًا لأمته) أى مَغُوثة لهم فإن الناس يشتد عطشهم عند دنو الشمس منهم ويعظم بذلك كربهم فيكون شرب أمة سيدنا محمد ﷺ منه غوثًا لهم عند مساس الحاجة.

قال رحمه الله (**والشفاعةُ التِى ادَّخَرها لهم حقٌّ كما رُوِىَ فِى الأخبار**).

(**الشرحُ**) أنَّه يجب الإيمانُ بالشفاعة التِى ادَّخَرَها النبىُّ ﷺ لأُمَّتِهِ وأنها ثابتةٌ. والشفاعةُ هِىَ طَلَبُ الخَيْرِ للغَيْرِ وأمَّا الشفاعةُ الأُخْرويةُ فهىَ طلبُ الإنقاذِ مِن مشقةِ حرِّ الشمس فِى الموقف أو مِن دخول النار بعد استحقاقِهِ أو مِن زيادةِ عذاب النَّارِ بعد دخولِهَا. ثم المحتاجون للشفاعة هم أهل الكبائر من المؤمنين أما غير أهل الكبائر فليسوا محتاجين للشفاعة لا فِى القيامة ولا بعد دخول بعض العباد النار لأن الأتقياء لا يحصل لهم فِى الموقف مشقةٌ مِن حر الشمس ولا يحصل لهم ألمٌ مِن جوع أو عطش ولا يحصل لهم تعبٌ مِن طولِ مدةِ الموقف، ويَدُلُّ على ذلك قولُ رسول الله ﷺ شفاعَتِى لأهلِ الكبائرِ مِن أُمَّتِى اهـ وهو حديثٌ حسنٌ رواه الترمذىُّ وابنُ حبان وغيرُهُما.

قال رحمه الله (**والميثاقُ الذِى أخذَهُ الله تعالى مِن ءَادَمَ وذريته حقٌّ**).

(**الشرحُ**) أنَّنا نُؤمن بأنَّ الله أخذ الميثاق أىِ العهد مِن بنِى ءَادَمَ حين استخرجَ أرواحَهُم مِن ظهرِ ءَادَمَ بعدما نزل إلى الأرض، صوَّرَهم على هيئةِ البشرِ واستنطقَهُم فقالوا لا ربَّ لنا غيرك اهـ رواه الحاكم والترمذىُّ وصحَّحاه مِن حديث أُبَىِّ بن

كعب مرفوعًا ولفظ الحاكم أطولُ وفيه أنَّ روحَ عيسى كان معهم ذلك اليوم.

قال رحمه الله (**وقد علِمَ الله تعالى فيما لم يَزَلْ عددَ مَن يدخلُ الجنةَ وعددَ مَن يدخلُ النارَ جملةً واحدةً فلا يُزاد فِى ذلك العددِ ولا يُنقصُ منهُ وكذلكَ أفعالُهُم فيما عَلِمَ منهم أنْ يفعلوه. وكلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له**).

(**الشرحُ**) أنَّ الجملة الأُولى التِى فيها بيان إحاطة علم الله بمن يدخل الجنة تفصيلًا وبعدد من يدخل النار تفصيلًا أراد المؤلف بها أن يُبَيِّنَ ما كان قرَّرَهُ فيما تقدم مِن أزلية صفاتِ الله تعالى الذاتية والفعلية بنحوِ قولِهِ ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه اهـ وأنْ يُبَيِّنَ سَعَةَ علم الله وأنَّ علمه لا يُقَدَّر بمعلوم الخلائق مقدِّمةً لحسم مادة الشك فى القضاء والقدر من الضّعفة أىْ ضعفة الأفهام ولِدَفعِ تلبيس أوهام القدرية أىْ المعتزلة على العوام حيث قالوا كيف يعذب اللهُ على ما قضاه وقدّره فبيَّنَ الطحاويُّ رحمه اللهُ أنَّ اللهَ علم عددَ مَن يدخل الجنة وأنهم يؤمنون ويطيعون عن اختيار وإيثار وعَلِمَ عددَ مَن يدخل النار وأنهم يكفرون ويخالفون أوامره عن اختيار منهم عند وُجُودهم وكونهم بصفة البلوغ والعقل لا عن جبر واضطرار ويستحيل أن لا يعلم ما يكون من مخلوقاته قبل وجودهم ومحالٌ فِى حَقِّهِ أنْ يَقْضِيَ بخلاف ما علم إذ فِى ذلك تجهيلُ عِلْمِهِ فثبت أنه يقضى بما سبق علمُهُ فِى الأزل أنهم يفعلون عن اختيارٍ وإيثارٍ لا عن جبرٍ واضطرارٍ وكان ذلك منه عدلًا لا ظلم فيه.

أما قولُ المؤلفِ رحمه الله (وكلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له) فمعناه أنَّ كلًّا مِنْ فريقَيِ السعادةِ والشقاوةِ مُسَهَّلٌ له العملُ الذِى اختارَهُ مُزَيَّنٌ ذلك له، وهو لفظُ حديثٍ صحيحِ الإسنادِ رُوِىَ عن جماعةٍ مِن الصحابةِ وأخرجه الأئمةُ الأربعةُ فيما رَوَوهُ وأصحابُ الكتبِ الستة وغيرُهُم بألفاظٍ متقاربةٍ منها ما رُوِىَ عن علِىّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ ونَصُّهُ بتمامِهِ قَالَ كُنَّا فِى جِنَازَةٍ فِى بَقِيعِ الغَرْقَدِ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَقَالَ اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾[١] اهـ ففيه الردُّ على الجبريةِ والقدرية كليهما فإنَّه ﷺ لم يقُلْ وكلٌّ مُجْبَرٌ بل قال مُيَسَّرٌ والتَّيْسِيرُ ضِدُّ الْجَبْرِ لِأَنَّ الجبْرَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ كُرْهٍ وَلَا يَأْتِى الإِنْسَانُ الشَّىْءَ بِطَرِيقِ التَّيْسِيرِ إِلَّا وَهُوَ غَيْرُ كَارِهٍ لَهُ وقد أخبرَ مع ذلك بأنه لا يأتِى ولا يعمَلُ إلَّا بما خُلِقَ لأجلِهِ فما قدَّرَهُ اللهُ تعالى نافذٌ.

(١) سورة الليل/ءاية (٥ - ١٠).

قال رحمه الله (**والأعمالُ بالخواتيم**).

(**الشرحُ**) أنَّ العمل الذى يُجازَى به العبد يوم القيامة فيظهر أنه سعيدٌ أو شقى هو ما يُختم له به مِن الأعمال. وقد ورد فيما صح من الحديث(١) أنَّ الإنسان قد يعمل بعمل أهل الشقاوة حتى يُقال إنه شقيٌّ ثم تدركه الرحمة فيُختم له بالخير أىْ يُخْتَمُ له وهو يعمل عملَ أهل الجنة، وقد يكون العبد يعمل بعمل أهل الجنة مدة من عمره طويلة أو قصيرة فيظن الناس على حسب ما يرون من عمله أَنَّهُ مِن أهل الجنة ثم تدركه الشقاوة التِى كُتبت له فيموت وهو يعمل عمل أهل النار أى يموت كافرًا فيدخل النار ويكون من أهل النار الخالدين المؤبدين فيها.

قال رحمه الله (**والسعيدُ مَن سَعِدَ بقضاءِ الله تعالى والشقىُّ مَن شَقِىَ بقضاءِ الله تعالى**).

(**الشرحُ**) أنَّ هذا تأكيدٌ لما سبق، والمعنَى أنه لا يكون العبدُ سعيدًا أو شقيًّا إلا على حسب ما سبق فِى علم الله فَمَن علم الله فِى الأزل أنه يموت على الإيمان فهو ميّتٌ على الإيمانِ ولو سبقَ له كفرٌ وضلالٌ ومَنْ علِمَ اللهُ أنه يموتُ على حالِ الكفرِ فهو ميّتٌ على ذلك الحالِ ولو سبقَ له إيمانٌ وطاعةٌ.

---

(١) قوله (وقد ورد فيما صحَّ من الحديثِ إلخ) روَى البخاريُّ ومسلمٌ مرفوعًا إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها اهـ سمير.

قال رحمه الله (**وأصلُ القدَرِ سرُّ الله تعالى فِى خَلْقِهِ لم يَطَّلِعْ على ذلك مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نَبِىٌّ مرسلٌ، والتعمُّقُ والنظرُ فِى ذلك ذريعةُ الخِذلانِ وسُلَّمُ الحرمانِ ودرجة الطُّغيان فالحذرَ كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسةً فإنَّ الله تعالى طوى علمَ القدرِ عن أنامِهِ ونهاهُم عن مرامِهِ كما قال تعالى فِى كتابه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾(١) فمن سألَ لمَ فعلَ فقد ردَّ حُكمَ الكتابِ ومَنْ ردَّ حُكمَ الكتابِ كانَ مِنَ الكافرين**).

(**الشرحُ**) أنه لَمَّا ثبتَ بالنقلِ مِن طريق الوَحْيِ معنَى قولِهِ (لم يطَّلِعْ على ذلك ملَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ) أورد المؤلف ما أورده مبالغةً فِى الإخبار عن كونِ علمِ القدر مكتومًا عن الخلائق أجمعين لأن الله قال فِى كتابه فِى سورةِ النملِ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(٢) والغيبُ هو ما غاب عن حس الخلق وأريد به فِى هذه الآيةِ جميعَ الغيب فما غاب عن حِسِّ الخلق لا يعلمُ جميعَهُ إلا الله ولا يُطلع اللهُ على ذلك نبيًّا ولا ملكًا إنما يُطْلِعُ على بعض الغيب مَن شاء من عباده من ملائكة وأنبياء وأولياء من الإنس والجن. ومَنِ اعتقد أن أحدًا غير الله يُحيط بالغيبِ علمًا فقد كذَّبَ القرءان. وقد أَلَّف بعضُ الغلاة رسالةً ذكرَ فيها أنَّ الله أطلعَ الرسولَ ﷺ على كل ما يعلمه بلا استثناءٍ وهذا غُلُوٌّ شبيهٌ بِغُلُوِّ النصارى فِى قَوْلِهِمُ اتَّحَدَ اللاَّهوت بالناسوت أيِ اتَّحَد الله بالإنسان يعنون عيسى.

---

(١) سورة الأنبياء/ءاية (٢٣).

(٢) سورة النمل/ءاية (٦٥).

وقوله (والتعمق والنظر فِى ذلك ذريعةُ الخذلان وسُلَّمُ الحرمان ودرجةُ الطغيان) الذريعةُ[1] إلى الشَّىْءِ ما يُقَرِّبُ منه والمعنَى أنَّ هذا التعمقَ والنظرَ يُؤَدِّيانِ إلى الخِذلانِ ويُوصِلانِ إلى الحِرمَانِ والطغيانِ كما أنَّ السُّلَّمَ والدرجة يُتوصل بارتقائهما إلى ما فوقَهُمَا. وأما الخِذلان فهو ضِدُّ التوفيق فَمَن جهدَ للوصولِ إلى سرِّ القدرِ فهو علامةُ أنَّهُ مخذولٌ مَحرومٌ مِن الهِدايةِ واقعٌ فِى الطُّغيانِ وهو مجاوزةُ الحدِّ والاعتداءُ.

ثم أكثر المؤلف التحذير من ذلك بما زاده وهو قوله (فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسةً) أىْ فليدفَعِ الإنسانُ عن نفسِهِ محاولةَ الاطلاع على ذلك حتى مِن طريق الوسوسةِ ولْيَشْغَلْ قلبَهُ بما يحجزه عن ذلك. فإن عقل الإنسان لا يدرك سر القدر ومن اعترض على الله تعالى فقال لم فعل الله كذا فقد ضارع إبليس فى اعتراضه على الله حين أمره بالسجود لآدم عليه السلام وصار كافرًا مثله لأنه ردَّ قولَ الله تعالى ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾[2]. هذا إذا كان السؤال من باب الاعتراض وأما السؤال لاستكشاف الحكمة فجائز وذلك كقول الملائكة الذى ذكره الله تعالى فى سورة البقرة ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن

---

(١) قوله (الذريعة) هِىَ فِى الأصلِ النّاقةُ الَّتِى يستَتِرُ بهَا رامِى الصَّيْدِ وذلكَ أَنَّهُ يَمشِى بجَنبها ليرمِيَهُ إذا أَمْكنَه وتلكَ النّاقةُ تُسَيَّبُ أَوَّلًا معَ الوَحْشِ حتَّى تأْلَفَها وجَمْعُها ذُرُعٌ بضَمَّتين. قَالَ ابْن الأعرابِيّ سُمِّيَ هَذَا البعيرُ الدَّريئَةَ والذَّريعَةَ ثمَّ جُعِلَتِ الذَّريعَةُ مَثَلًا لكُلِّ شَيْءٍ أَدْنَى مِن شَيْءٍ وقَرَّبَ مِنْهُ وأَنشدَ

وَلِلْمَنِيَّةِ أَسْبابٌ تُقَرِّبُها كَمَا تُقَرِّبُ للوَحشِيَّةِ الذُّرُعُ اهـ

من تاج العروس. سمير.

(٢) سورة الأنبياء/ ءاية (٢٣).

﴿يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾(١).

قال رحمه الله (**فهذِهِ جُملةُ ما يحتاجُ إليهِ مَنْ هوَ مُنوَّرٌ قلبهُ منْ أولياءِ الله تعالى وهى درجةُ الراسخينَ فِى العلمِ لأنَّ العلمَ علمانِ علمٌ فى الخلقِ موجودٌ وعلمٌ فى الخلقِ مفقودٌ فإنكارُ العلم الموجودِ كفرٌ وادّعاءُ العلم المفقود كفر، ولا يثبتُ الإيمانُ إلا بقبولِ العلم الموجودِ وتركِ طلبِ العلمِ المفقود**).

(**الشرحُ**) أن ما ذكره الطحاويُّ رحمه الله تعالى فى أمر القدر هو ما يحتاجه من حيث الجملة المسلمُ الذِى نوَّرَ الله قلبه بالمعرفة الصحيحة ونال بالإيمان ولايةَ اللهِ العامة للمؤمنين فإن الشخص مهما رسخ فى العلم لا تزيد معرفته بالقدر عما هو مذكور فى هذه العقيدة وإن كان يَقْوَى إيمانُهُ به ويضعف.

وقوله (لأن العلم علمان إلخ) معناه أن الله جعل فى خلقه علومًا ضروريةً يعرفها العباد من غير استدلال ونظر كإدراك وجود الإنسان والحيوانات بالمشاهدة وجَعَلَ فيهم إدراكاتٍ يُتَوَصَّلُ إليها بالنظر بإعمالِ الفكرِ فِى خلقه وهذا مِن العِلم الموجودِ فِى الخَلْقِ فإنكارُ نحوِ وُجُودِ البشرِ مِن العلمِ الضَّرُورِيِّ كفرٌ كما أنَّ إنكار نحوِ حدوثِ العالَمِ واحتياجِهِ إلى محدثٍ له أوجده وكوَّنه من العِلْمِ النَّظَرِيِّ كفرٌ.

وأما العلمُ المفقودُ فِى الخلق فهو ما اختصَّ اللهُ بِهِ فمَنِ ادَّعَى نحوَ معرفةِ وقتِ قيامِ الساعةِ والإحاطةِ بالغيبِ فدعواه

---

(١) سورة البقرة/ ءاية (٣٠).

كفرٌ كيف وجبريلُ عليه السلام أتى النبىَّ ﷺ يومًا فكان مِن جملةِ ما سألَهُ أنْ قال فأخبرنى عن الساعة فأجابَهُ رسولُ الله ﷺ ما المَسئول عنها بأعلمَ مِن السائل اهـ

قال رحمه الله (**ونُؤمنُ باللوحِ والقلمِ وبجميع ما فيهِ قد رُقِم فلو اجتمعَ الخلقُ كلهم على شَىْءٍ كتَبهُ الله تعالى فيهِ أنهُ كائنٌ ليجعلوه غيرَ كائنٍ لم يقدروا عليهِ، ولو اجتمعوا كلُّهُم على شَىْءٍ لم يكتُبْهُ الله تعالى فيهِ ليجعلوهُ كائنًا لم يقدروا عليه، جفَّ القلمُ بما هوَ كائنٌ إلى يومِ القيامة، وما أخطأَ العبدَ لمْ يكن ليصيبَهُ وما أصابَهُ لم يكن ليُخطئَهُ**).

(**الشرحُ**) أنه يجب على المكلفين الإيمانُ باللوح والقلم. واللوحُ جرمٌ مخصوص تحت العرش وقيل فوقَهُ وأما القلم فهو القلم الأعلى الذِى خُلِقَ بعد الماء والعرش قبل كل شىْءٍ ثم تلاه اللوحُ المحفوظُ. رَوَى الترمذىُّ وغيرُهُ إنَّ أولَ ما خلق اللهُ تعالى القلمُ فقال اكتبْ فقال ما أكتبُ قال اكتبْ ما كان وما يكون إلى يوم القيامة اهـ وأوَّلِيَّةُ القلمِ هذه نسبيَّةٌ.

وقولُ المؤلف (وبجميع ما فيه قد رُقِمَ) أىْ نؤمن بجميع ما كُتب فيه فالكتبُ السماويةُ كلُّها مكتوبةٌ فِى اللوح المحفوظ وكذا كلُّ ما يكون إلى يوم القيامة كما قال تعالى فِى سورةِ يس ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ فُسِّرَ الإمام باللوح المحفوظ وقال تعالى فِى سورةِ القَمَر ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ أىْ أنَّ الأمورَ الجليلةَ والأمورَ الحقيرةَ كلَّها مكتوبةٌ فِى اللوح المحفوظ.

وقوله (فلو اجتمع الخلقُ كلُّهُم على شَيْء كتبهُ الله تعالى فيهِ أنهُ كائنٌ ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليهِ، ولو اجتمعوا كلُّهُم على شَيْءٍ لم يكتبْهُ الله تعالى فيهِ ليجعلوهُ كائنًا لم يقدروا عليه، جفَّ القلمُ بما هوَ كائنٌ إلى يوم القيامة، وما أخطأَ العبدَ لمْ يكن لِيُصِيبَهُ وما أصابَهُ لم يكن لِيُخْطِئَهُ) وردت ألفاظُهُ فيما صحَّ عن رسولِ اللهِ فِى بعضِ أحاديثه بعضُها بِعَيْنِ اللَّفْظِ المَرْوِيِّ وبعضُها بما هو بمعنَى اللفظِ المَرْوِيِّ فيجبُ الإيمانُ بما جاء فيها لا سِيَّما وقد تواطأَ دليلُ العقلِ وبراهينُهُ مع دليلِ النقلِ على صحته.

قال رحمه الله (**وعلى العبدِ أن يعلمَ أنَّ الله قد سبقَ علمُهُ بكلِّ كائنٍ مِن خَلْقِهِ فقدَّرَ ذلكَ تقديرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا ليسَ فيهِ ناقضٌ ولا مُعَقِّبٌ ولا مُزِيلٌ ولا مُغَيِّرٌ ولا مُحَوِّلٌ ولا ناقصٌ ولا زائدٌ من خلقهِ فى سماواتهِ وأرضهِ**).

(**الشرحُ**) أنه يجب على العبد أن يعلم أنَّ ما سبق فِى علم الله أنه يكون فقد شاء أن يكون أيْ خصَّصَهُ بالوقوعِ والوجودِ الحادثِ ونؤمِنُ بأنه تعالى قضَى ما يكونُ مِن خَلْقِهِ وقدَّرَ كلَّ شَيْءٍ على ما تقتضِى الحكمةُ البالغةُ مِن كون كل شيْءٍ على ما هو به من حُسْنٍ أو قُبْحٍ وطاعةٍ أو معصيةٍ فيكونُ كلُّ شَيْءٍ على حسبِ ما شاء وعلِمَ وقدَّرَ لا يشُذُّ منَ العالَمِ شَيْءٌ عن ذلك.

قال رحمه الله (**وذلكَ مِن عَقْدِ الإيمانِ وأصولِ المعرفة والاعترافِ بتوحيدِ الله تعالى وربوبيتِهِ كما قال تعالى فِى كتابِهِ** ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾[1] **وقـــال تـــعـــالـــى** ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾[2]).

(**الشرحُ**) أنَّ فِى هذا الاعتقادِ إثباتَ الوحدانيةِ والرُّبُوبيةِ للهِ عزَّ وجلَّ وفيه نَفْىُ التدبير الحقيقىِّ العامّ عما سوى الله تعالى وهو الاعتقادُ الذِى لا يجوزُ لأهلِ السمواتِ والأرضِ غيرُهُ فإنَّ اللهَ تعالَى خلق كلَّ شَىْءٍ ودبَّرَهُ بتقديره الأزلىِّ كما قال تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ والمرادُ بالأمرِ هنا المفعولُ أىْ أنَّ الكائنات الحادثات كلَّها مقدرة بتقدير الله الأزلىِّ وفِى ذلك بيانٌ بأنه لا خالقَ لشىْءٍ مِن العالم سوى الله وتعميمٌ لكلِّ شَىْءٍ فيه مِن الأجسام والجواهر والأعراض أنَّ كل ذلك مخلوق لله عز وجل.

وخالفتِ المعتزلةُ أهلَ الحقِّ فِى تعميم هذه الآية فإن جميع الأفعال الاختيارية عندهم مخلوقةٌ لغير الله تعالى فيكون كلُّ فاعلٍ مختارٍ مِن مَلَكٍ وجِنٍّ وإنسٍ وكلِّ ما دبَّ ودرجَ حتى الكلبُ والخنزيرُ خالقًا لفعلِهِ، ومنعوا مع ذلك دخولَ أفعال الحيوانات كلِّها تحت قدرة الله تعالى فعندهم أعطى اللهُ تعالى الحيواناتِ القدرةَ على خلقِ أفعالِها فخرجَتْ هذه المقدوراتُ مِن تحتِ قدرتِهِ تعالى وصارَ بزعمهم غيرَ قادرٍ على تخليقِها،

(١) سورة الفرقان/ءاية (٢).
(٢) سورة الأحزاب/ءاية (٣٨).

ومَنْ قالَ بهذا والعياذُ باللهِ لا يجوزُ التوقُّفُ فِى كفرِهِ ولا الشَّكُّ فيه، ومحالٌ أن لا يقدر الله على تخليق ما يقدر على تخليقه كلُّ ما دبَّ ودرجَ.

والعجَبُ مِن بعضِ مَن ينتسبُ إلى أهل السنة يمدحون الزمخشريَّ مع أنه أحدُ مشاهيرِ المعتزلةِ وكانَ يقولُ بمقالاتِهِمُ التِى هِىَ كفرٌ ويتواقحُ فِى ذمِّ أهلِ السُّنَّةِ حتَّى سماهُمْ حميرًا مؤكفةً أىْ حميرًا وُضِعَ على ظهورِها الإكافُ أىْ لِتُركَبَ فلا يجوز وصفُ مثلِهِ بالإمامِ عليه مِن اللهِ ما يستحِقُّ.

قال رحمه الله (**فويلٌ لِمَنْ صارَ للهِ تعالى فِى القدرِ خصيمًا وأحْضَرَ للنظرِ فيهِ قلبًا سقيمًا، لقدِ التَمَسَ بوهمِهِ فى فحصِ الغَيْبِ سِرًّا كتيمًا وعادَ بما قالَ فيهِ أفَّاكًا أثيمًا**).

(**الشرحُ**) أنَّ هذا تصريحٌ بذمّ من أنكر القدر واستحقاقِهِ للويلِ، وفيه تسميتُهُ خصيمًا لله وذلك لأنَّهُ يدَّعِى مشاركةَ اللهِ تعالى فِى التقديرِ بل وغلبَةَ مشيئتِهِ لمشيئةِ الحقِّ سبحانه وهو بإنكاره القدر يلتحقُ بالثنوية والمجوس الذينَ أثبتوا الشريكَ للهِ تعالى وسببُ ذلك أنه نظرَ فِى أمرِ القدرِ بقلبٍ سقيم مرتابٍ أو مكذِّبٍ بما ثبتَ بالأدلة القاطعة طالبًا للوقوفِ على سِرِّ القدرِ المكتومِ غيرَ مسَلِّم للهِ تباركَ وتعالى فِى ذلك فكذَّبَ بمقالتِهِ قولَهُ عزَّ وجلَّ وصارَ بهذا أفَّاكًا أىْ كذابًا أثيمًا أىْ فاجرًا. أعاذنا اللهُ مِن مثلِ ذلك.

قال رحمه الله (**والعرشُ والكرسِيُّ حقٌّ وهوَ مُستَغْنٍ عنِ العرشِ وما دونهُ مُحيطٌ بكلِّ شَىْءٍ وفوقَهُ وقد أعجزَ عنِ الإحاطةِ خلقَهُ**).

(**الشرحُ**) أنه يجب الإيمان بوجود العرش والكرسيِ لأن الله نصَّ عليهما فِى القرءان. ولم يذكر اللهُ ما حقيقة العرش وما حقيقة الكرسيّ فالواجبُ الإيمانُ بأنهما جِرمان أىْ جسمانِ مِنَ الأجرامِ العُلْوِيَّةِ ويكفِى ذلك فِى أصلِ الإيمان بهما. وأمَّا ما ذهب إلَيه بعضُ أهلِ التأويلِ مِن أنَّ الكرسىَّ عبارةٌ عن العلم فأوَّلَ قولَ اللهِ فِى سورةِ البقرةِ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[1] بأنَّ معناهُ وَسِعَ عِلْمُهُ السمواتِ والأرضَ فلا معنى لقولِهِ هذا ولا يُلتفت إليه لأنَّ اللُّغَةَ لا توافقُ على ذلك والقرءانُ لا يجوز تفسيرُهُ بما لا توافق اللغةُ عليه لأنَّ الله تعالى قال فِى سورةِ الشعراءِ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾.

وقوله (وهو مستغنٍ عنِ العرشِ وما دونَهُ) نَفَى به الحاجة للتمكن فى المكان والتحيز فى الجهة وغير ذلك من سمات الحدث وذلك لما مرّ من البراهين القطعية فى ذلك. وفيه ردٌّ على اليهود ومجسمة هذه الأمة حيث وصفوه بالجسم والاستقرار على العرش واحتجَّ المجسمةُ لذلك بقولِهِ تعالى فِى سورةِ طه ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ وليس لَهُمْ فيها حجةٌ فإنَّ الآيةَ مدحٌ للهِ فإنه تعالى تمدح بقوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ ولو استُعمل لفظُ الاستواء على العرش على سبيل المدح فِى حقِّ مَن جاز عليه الاستقرارُ فإِنَّهُ لا يُحمل على الاستقرار ولا يُفهم منه كما فِى قول الشاعر فِى بشر بن مروان مِن الرجز

(١) سورة البقرة/ ءاية (٢٥٥).

قدِ استوى بِشرٌ على العراقِ   مِن غير سيفٍ ودمٍ مُهْرَاقِ اهـ

فليس مدحُ بشر بن مروان فِى هذا البيت مِن حيث إنه جالسٌ فِى هذا البلد إذْ لا مدحَ فِى مجرَّدِ ذلك إنما المدحُ له لأنه استولى أىْ قَهَرَ وهَيْمَنَ وسَيْطَرَ على العراقِ فالمدحُ إنما يكون بصفةٍ يمتاز بها الممدوحُ بحيثُ لا يكادُ يُدانيه ولا يُساويه ولا يُكافئه فيها غيرُهُ فلا يصحُّ إذًا تفسيرُ الاستواءِ بالجلوسِ الذِى يَشتركُ فيه الشريفُ والوضيعُ ويتَّصِفُ به البشرُ والجِنُّ وغيرُهُم إذْ لا مدحَ فِى ذلكَ وإنما الذِى لا بُدَّ أن يُفْهَمَ مِنَ الاستواء هو القهرُ والاستيلاءُ إذ هو أشرف معانِى الاستواء وهو مِمَّا يليق بالله تعالى.

وتخصيصُ العرشِ بالذِّكْرِ فِى ءَايَةِ الاستواءِ المذكورةِ ءَانفًا وفِى قولِهِ عزَّ وجلَّ فِى سورةِ الأعرافِ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(١) هو لتشريفِهِ إذْ إضافةُ بعضِ الأشياء إلى الله تعالى تكون لتعظيم ذلك الشَّىْءِ كما خصَّ ناقةَ صالحٍ بالذِّكر بالإضافة إليه فقال فِى سورة الشمس ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾(٢) معَ كون كلِّ النُّوق متساويةً مِن حيثُ الملكيةُ لله تعالى.

وثُمَّ فِى قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ليستْ للترتيب فِى الحدوث والوقوع والحصول إنَّما هِىَ للترتيبِ فِى الإخبارِ ونظيرُ ذلك هو قولُهُ تعالى ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾(٣) مع أنَّ

(١) سورة الأعراف/ءاية (٥٤).
(٢) سورة الشمس/ءاية (١٣).
(٣) سورة يونس/ءاية (٤٦).

شهادتَهُ أيِ اطلاعَهُ وعِلْمَهُ أزلِيٌّ.

وقول المؤلف رحمه الله (مُحِيطٌ بكلِّ شَىْءٍ وفَوْقَهُ) معناه أنَّ الله محيطٌ بكلِّ شَىْءٍ بالعِلم والغَلَبة والقهرِ والسُّلطان لا محيطٌ كإحاطة الحُقَّة باللؤلؤة فكلُّ شَىْءٍ تحت علمه وقدرته وفوقيَّتُهُ هِىَ فوقيَّةُ القدرةِ والقهرِ[1] وفِى قولِهِ تعالى فِى سورةِ الأنعام ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾[2] وهو معنَى العُلُوِّ الذِى وصفَ اللهُ به نفسَهُ بقوله فِى سورة الأعلى ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾.

وقوله (وقد أعجز عن الإحاطة خلقه) يفيد أنه لا يحيط أحد من الخلق بكل شَىْءٍ علمًا كما صرحت بذلك الآيات والأحاديث ومنها قول الله تعالى فى سورة المدثر ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾[3] وحديث مفاتح الغيب الثابت فى الصحيح فمن أنكر ذلك وادعى أن فى الخلق عديلًا لله تعالى يعلم كل شىء فهو كافر.

---

(١) قوله (هِىَ فوقيَّةُ القدرةِ والقهرِ) لفظُ فَوْق معروفٌ استعمالُهُ فِى لغةِ العربِ للمنزلَةِ والمرتبةِ والقهرِ والقدرةِ كما فِى قوله تعالى فِى سورةِ الأنعام ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾ وكما فِى قولِهِ تعالى فِى سورةِ الزُّخْرُفِ ﴿وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾ وكما فِى سورةِ البقرة ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ وكما فِى قوله تعالى فِى سورةِ ءَالِ عِمرانَ ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾ وكما فِى سورةِ الأعراف إخبارًا عن قولِ قوم فرعون ﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ وكما فِى سورةِ النحلِ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ ونظيرُ ذلك فِى كلام العربِ كثيرٌ. سمير.

(٢) سورة الأنعام/ءاية (١٨).

(٣) سورة المدثر/ءاية (٣١).

قال رحمه الله (**ونقولُ إنَّ اللهَ اتَّخَذَ إبراهيمَ خليلًا وكلَّمَ اللهُ مُوسى تكليمًا إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا**).

(**الشرحُ**) أنَّنا نُثْبِتُ لسيدنا إبراهيمَ مرتبةَ الخلةِ ولا يلزمُنا مِن ذلك ما توهَّمَهُ النَّصارَى حيث قاسوا تسميتهم عيسى بالولدية على اتخاذ إبراهيم خليلًا وجوابُ أهلِ الحقّ عن ذلك أن اتخاذ الولد يُوجب المجانسة إذ الولد قطُّ لا يكون إلا مِن جنس الوالد والله يتعالى عن ذلك، وأما اتخاذ الخليل فلا يُوجب المجانسة بل يوجب القرب والكرامة حتى إن الخلَّةَ تكون بين المختلفين فِى الجنس كما كان يُقال سَيفِى خَلِيلِى.

وأما قوله رحمه الله (وكلَّم اللهُ موسى تكليمًا) فهو إثباتٌ لِمَا جاء به القرءانُ وهو قوله تعالى فِى سورةِ النساءِ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ وبما أن الكلامَ هو حقيقةً صفةٌ للهِ تعالى فقد أُكِّدَ فِى الآيةِ فعلُ (كَلَّمَ) بالمصدَرِ (تكليمًا) ولو أُريدَ به المجازُ لم يُؤكَّدْ كما لو قيلَ قال بيده وقال برأسه إذا أشار بواحدٍ منهما فإنَّ العربَ لا يؤكدونه بالمصدر فلا يقولون مثلًا قال بيده قولًا.

قال رحمه الله (**ونؤمنُ بالملائكةِ والنبيّينَ والكتبِ المُنزَّلةِ على المُرسلين ونشهدُ أنهم كانوا على الحقِّ المُبين**).

(**الشرحُ**) أنَّ كلامَ المصنِّفِ هذا من قسم أصول العقيدة التِى هِىَ سمعيةٌ لأنَّ الاعتمادَ فِى إثباتها على النقل والسمع ليس على العقل وإنْ كان العقل يشهد بصحة ذلك كما يشهدُ بصحةِ كلِّ ما ثبتَ فيه نصٌّ ولا يعارضه. قال أبو حفص الغزنوىُّ

الإيمان بالملائكة أن نؤمن بأنهم أشخاصٌ روحانيةٌ لطيفةٌ فِى تركيب الحيوانِ ينزلون ويصعدون بأمر الله وليسوا بنجوم مسخرة ولا بأنفس فلكية كما ذهب إليه طائفة من أهل الزيغ اهـ ويجب الإيمان بأنهم ليسوا ذكورًا ولا إناثًا لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزاوجون ولا يتوالدون ولا يختارون إلا الطاعة لا يَعصون الله ما أمرهم. وما يُروى عن هاروت وماروت أنهما شربا خمرًا وقتلا طفلًا كانت تحمله امرأةٌ ووقعا عليها فغير صحيح. ثم إنَّ الملائكة مُوَكَّلون بأعمالٍ شتى منهم من هم مُوَكَّلون بالقطر والنبات، ومنهم مُوَكَّلون بكتابة أعمال بنى ءادم، وبعضهم مُوَكَّلون بِتَوَفِّى الأرواح، وبعضهم مُوَكَّلون بحفظ بنِى ءَادم مِن تلاعب الجن بهم.

وأما الإيمانُ بالنَّبِيِّينَ فهو الإيمانُ بأنَّ الله ارتضاهم للنبوة واصطفاهم وأكرمهم بالسفارة بينه وبين عباده بما يُوحِى إليهم، وليست النبوة بمكتسبة بل كانت عطيةً خصيصةً مِن الله تعالى وموهبة جعلها الله لِمَنْ شاء من عباده كما قال تعالى ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1] وهم معصومون عن التحريف والتبديل والفِسق وعن جميع ما يوجب العزل.

وأما الإيمان بالكتب السماوية فهو أن يؤمن بأنها من قبل الله وليس للملك ولا للنبى تصرف فى النظم والمعنى لكنهما يبلّغان عن الله تعالى كما بلغ إليهما وحيًا وتنزيلًا.

---

(١) سورة الأنعام/ءاية (١٢٤).

تنبيهٌ فِى عِصمة الأنبياءِ.

اتفق المسلمون على أنَّ الأنبياءَ معصومونَ من الكفرِ والكبائرِ قبل النبوة وبعدها. وأما الصغائرُ فما كان مِنها مِنْ صغائر الخسة والدناءة(١) فهم معصومون منها قبل النبوة وبعدها كالكبائر وما كان منها مِن غيرِ صغائر الخسة فالأشعريُّ أبو الحسن قال بجواز ذلك على الأنبياء موافقةً لظواهرِ بعضِ الآياتِ والأحاديثِ وقال بعض الأشاعرة لا يجوز عليهم شَىْءٌ مِنَ الصغائر سواءٌ كانت مِنْ صغائرِ الخسَّةِ أم لا قالوا وإنما أُطلِقَ على المخالفةِ التِى وقعتْ مِن سيدنا ءَادمَ عليه السلامُ أنها معصيةٌ لِعُلُوِّ شأنِهِ عليه السلامُ ويجبُ مع ذلك إثباتُ اسم المعصيةِ لَهَا من أجل موافقة النصِّ أىْ قوله تعالى فِى سورة طه ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ قالوا ونَفْىُ اسم المعصيةِ عن ذلك كفر لأنه رَدٌّ للنَّصِّ. قالَهُ بعضُ الحنفية وبعض المالكية. والصوابُ أنَّ معصيتَهُ حقيقيةٌ لكنها من الصغائر التِى ليس فيها خسة ولا دناءة.

وقال بعضُ مَن يَنتسِبُ إلى التصوُّفِ قولًا لا معنَى له فزعمَ أنَّ ءَادَمَ عليه السلام كانَ منهيًّا ظاهرًا عن الأكلِ من الشجرةِ مأمورًا باطنًا بذلك وهذا دفعٌ لصريحِ القرءَانِ ولإجماعِ الأمةِ بمجرَّدِ الرأىِ والهَوَى فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعون.

ثم إنَّ مَن كان مِن الأنبياء أبوه كافرًا كإبراهيمَ عليه السلامُ لا يُجْرَى عليه حكمُ الكفرِ بالتبعية كما يُجْرَى على سائرِ أولادِ

---

(١) قوله (صغائر الخسة والدناءة) أىِ التِى تُشعِرُ بدناءةٍ فِى نفسِ فاعلِها أىْ التِى يكونُ ارتكابُها مِن شأنِ سفلةِ الناس وأراذلِهِم. سمير.

الكفارِ قبل البلوغ أيْ إنَّ ولَدَ الكافر يُجْرَى عليه أحكامُ الكفر قبل البلوغ إلا الأنبياء.

وقد اختلف العلماء فِى عدد الأنبياء فقال بعضٌ بموجَبِ حديثِ ابن حبان عن أبِى ذَرٍّ مرفوعًا إنهم مِائَةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفًا اهـ وقال بعضٌ الصوابُ أن لا يُعَيَّنَ للأنبياء عددٌ معلومٌ حذرًا مِن إدخالِ مَن ليس منهم أو إخراجِ مَن هو منهم.

وقوله رحمه الله (ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين) أىْ نعلم ونعتقد فى قلوبنا ونعترف بألسنتنا بأنهم كانوا على الحقِّ المُبِين أىِ الواضحِ الذِى لا مِرية فيه ولا شكٌّ.

قال رحمه الله (**ونُسَمِّى أهلَ قِبلتنا مُسلمينَ مؤمنينَ**).

(**الشرحُ**) أننا نطلق على أهل قبلتنا اسم المسلمين والمؤمنين لأنَّا نعرف منهم الاعتراف بما جاء به النبىُّ ﷺ مِن الدين والشرع ونسمع أنهم يعتقدون التوحيد والدينَ الحقَّ فنُراعِى ظواهرهم ونَكِلُ ضمائرهم إلى الله تعالى وبذلك وردَ النقلُ عن رسولِ اللهِ.

وفِى قولِهِ هذا بيانُ أنَّ المؤمنَ عند الإطلاقِ هو المسلمُ وأنَّ المسلمَ هو المؤمن فالإسلامُ والإيمانُ وإنْ كانا يفترقانِ لغةً فهما شرعًا كالظهرِ مع البطنِ لا يكونُ الإنسانُ مؤمنًا ما لم يكنْ مسلمًا ولا مسلمًا ما لم يكنْ مؤمنًا وعليه دلَّ الكتابُ والحديثُ أمَّا الكتابُ فكقولِهِ تعالى فِى سورة الذارياتِ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٦﴾ وأمَّا الحديثُ فمثالُهُ ما فِى الصحيح مِن قولِهِ عليه الصلاة والسلامُ المُؤْمِنُونَ

يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ اهـ وكما فِى حديثِ الشفاعة يُجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اهـ الحديثَ وكقوله عليه السلامُ المؤمنون كرجلٍ واحدٍ اهـ الحديثَ ولذلك سَمَّى الصحابةُ سيدَنا عمرَ أميرَ المؤمنينَ إذْ قيلَ له نحنُ المؤمنونَ وأنتَ أميرنا فأنتَ أميرُ المؤمنينَ فأمضَى ذلك وأجمعَ الصحابةُ فَمَنْ بعدَهُم على تسميةِ الخليفةِ به.

وإذا سُئِلَ المسلِمُ هل هو مؤمنٌ فليَقُلْ نعم أنا مؤمنٌ ثمَّ إنِ استثنَى مع ذلك فقال (إن شاء الله) لم نحكمْ عليه بأنه شاكٌّ لمجرد ذِكْرِ الاستثناء فإنَّهُ قد يقولُ ذلك على وجه التفويض إلى الله تعالى وهو كثيرٌ.

ثم قال رحمه الله (**ما داموا بما جاءَ بِهِ النبى ﷺ مُعترفين، ولهُ بكلِّ ما قالهُ وأخبر مصدقين غيرَ منكرين**).

(**الشرحُ**) هذا ليُوضح به ما قَبْلَهُ أىْ حتَّى يُعْلَمَ أنَّ مجرد التَّوَجُّهِ إلى قِبلتنا لا يدل على حقيقة الإيمان بالنبىِّ لأن كثيرًا من الناس يتوجهون إلى قبلتنا وليسوا منا ولا على ديننا وذلك كالقدرية يزعمون وجود كثير من الأشياء من غير مشيئة الله تعالى وقد كفَّرَهم الأئمةُ الأربعةُ وغيرُهُم بل اتفقَ السلفُ على ذلك فما بالُ بعضِ المتأخرين يخالفونَ ذلك ويقولون إنَّ القدرية لا يُكفرون ببدعتهم اهـ وهذا شنيعٌ. ومثَّلَ نجم الدين منكوبرس البغدادىُّ الحنفِىُّ الفقيهُ فِى شرحه على الطحاويةِ لِمَنْ ينتسبُ إلى الأمةِ المحمديةِ وهم ليسوا مؤمنين بالقدريةِ قال ولو صَلَّوْا لأنهم زعموا أن العباد يخلقون أشياء من غير مشيئة الله قال

وكمن يزعم أن صانع العالم جسم على صورة البشر وكمن يَدَّعِى من الناس أنَّ المحبة تُزِيل التكليف اهـ أى كالذين يَدَّعُون الإسلام ويزعمون أنَّ الإنسان إذا صَفَا باطنه بِحُبِّ الله تعالى سقط عنه التكليفُ فليس عليه التقيُّدُ بالأوامر والنواهِى بمعنَى أنه لو ترك الصلاةَ لا يُؤاخذ ولو زَنَى لا يؤاخذ فهؤلاء كفارٌ وهم طائفةٌ مِن المتصوفة أى الذين يتشبهون بالصوفية وهم ليسوا صوفيةً فِى الحقيقة.

قال رحمه الله (**ولا نخوضُ فِى الله ولا نُمارِى فِى دين الله**).

(**الشرحُ**) أنَّنا لا نتفكَّرُ فِى ذات الله وقد مُنِعْنَا عن ذلك لأن التفكُّرَ فِى ذات الله يؤدِّى إلى الحَيْرة والضلال وإلى تشبيه اللهِ بِخَلْقِهِ لأنه لما ينقل ذهنَهُ من تخيُّلٍ إلى تخَيُّلٍ حتى يصل إلى شىْءٍ ويقفَ عنده ويظنَّ أن الله مثل ذلك الشَّىْءِ يكون قد شبَّهَ الله بخلقه. وظهرَ بهذا أنَّ تنزيهَ اللهِ عن مشابهةِ الخلقِ بقولِ إنَّ الله موجود أزلى أبدى لا يتصف بشىْءٍ مِن صفات البشر وأنه يرى بلا حدقة ويسمع بلا صماخ وأذن ويتكلم كلامًا ذاتيًّا ليس حرفًا ولا صوتًا ونحوِ ذلك مِن مقالات علماء أهل السنة من السلف والخلف ليس من التفكر فى ذات الله والخوض فيه بل هو بُعْدٌ عن ذلك وأخذٌ بقوله تعالى فِى سورة الشُّورَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] ومُوَافَقَةٌ له.

(١) سورة الشورى/ءاية (١١).

وقوله رحمه الله (ولا نُمارِى فِى دين الله) معناه لا نجادلُ فِى ما يتعلَّقُ بالدينِ لغيرِ غرضِ إحقاقِ الحقّ وإبطالِ الباطلِ ولا نخاصمُ أهلَ الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم للتلبيس عليهم. وليس من المراء فى الدين الاشتغال بعلم الكلام الذى وضعه أئمة أهل السنة والجماعة بل هذا تقريرٌ لعقائد أهل الحق بإيراد الأدلة السمعية والعقلية فإن كثيرًا من المنحرفين عن أهل السنة والجماعة يلجئون إلى الاستدلال بِشُبَهٍ يعتبرونها حججًا عقلية فيُحتاجُ أنْ يقومَ علماءُ أهل الحق بتقرير الأدلة العقلية التى تدحض شُبَهَ هؤلاء. وعملُ هؤلاءِ العلماءِ لا يقتصر على الرد على الملحدين المنتسبين إلى الإسلام بل يتجاوز ذلك إلى ردِّ شُبَهِ الملحدين غير المنتسبين إلى الإسلام وبكلامهم وتقريراتهم يستطيع قاصرُ الفهم بالحجج والبراهين أنْ يدحض شبهات أولئك الملحدين المُدعين أنهم أهل الدليل. فهؤلاء العلماءُ مَن كان منهم مِن السلف ومَن جاء بعدهم هم الذين دافعوا عن الإسلام وعن أهلِ الإيمانِ وردُّوا بالحُجَجِ النقليةِ والعقليةِ تمويهاتِ المُبتدِعينَ والمُخالفين فجزاهم الله خيرًا وأجزل لَهُم الثوابَ. ومِمَّن كانَ فِى السلف مِن هؤلاءِ عمرُ بن عبد العزيز والحسنُ البصرىُّ وأبو حنيفة النعمان بن ثابت ومالك والشافعىُّ وخلقٌ ءَاخَرونَ.

قال رحمه الله (**ولا نُجادِلُ فِى القرءان**).

(**الشرحُ**) أىْ لا نجادِلُ فِى ثبوتِ ما جاء القرءَانُ به بل نقبلُهُ ونعلمُ أنه حقٌّ سواءٌ علمنا الحكمةَ منه أم لم نَعْلَمْ.

قال رحمه الله (**ونشهدُ أنهُ كلامُ ربِّ العالمين نزلَ بهِ الرُّوحُ الأمينُ فعلَّمَهُ سَيِّدَ المرسلين محمدًا ﷺ وهو كلامُ اللهِ تعالى لا يُساويهِ شىْءٌ مِن كلامِ المخلوقين ولا نقولُ بخلقهِ**).

(**الشرحُ**) أنَّ القرءانَ معناه القولُ فهو كلامُ اللهِ تعالى وصفتُهُ الأزليةُ الأبديةُ القائمةُ بذاته التِى لا تشبهُ كلامَ الخلقِ وهو المرادُ بقوله تعالى فِى سورةِ الكهفِ ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾﴾ فالمرادُ بكلماتِ رَبّى[1] هنا كلامُ اللهِ الأزلِىُّ الأبدِىُّ الذِى لا يَنفدُ، وجُمِعَ اللَّفظُ للتعظيم. وكذلك يُطلَقُ القُرْءَانُ كما تَقَدَّمَ على اللفظِ المُنَزَّلِ ويُسَمَّى كلامَ اللهِ لأنه عبارةٌ عن كلامِ اللهِ الذَّاتِىّ وليس مِن تأليفِ جبريلَ ولا سَيِّدِنا محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ، وهذا اللفظُ هو الذِى نَزَلَ به الروحُ الأمينُ وهو جبريلُ على سيدِنا محمدٍ ﷺ، قال تعالى فِى سُورةِ الشُّعراء ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾[2].

وقوله رحمه الله (لا يُساويهِ شىْءٌ مِن كلامِ المخلوقين) أىْ لا يُعادلُهُ شَىْءٌ مِن كلامِ الخَلْقِ.

وقولُهُ رحمه اللهُ (ولا نقولُ بخلقِهِ) أىْ يَمتنعُ إطلاقُ القولِ بخلقِ القرءَانِ ولو بقصدِ اللفظِ المُنَزَّلِ الذِى لا شكَّ فِى كونِهِ

(١) قوله تعالى ﴿لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ معناه لو كان البحر مدادًا تُكتبُ به العبارات عن كلام الله الذى هو صفته تعالى لنفِد البحر من غير أنه تنفد الصفة أو تنتهى لأنها أزليةٌ أبديةٌ. سمير.

(٢) سورة الشعراء/ءاية (١٩٣ - ١٩٤).

مخلوقًا وذلك لأنَّ القرءَانَ له إطلاقانِ كما تقدَّمَ فإطلاقُ هذه العبارةِ يُوهِمُ بأنَّ الكلامَ الذَّاتِيَّ أيضًا مخلوقٌ كما قد يُوهِمُ بأنَّ اللهَ تعالى ليس متصفًا بكلامٍ أزلِيٍّ غيرِ مخلوقٍ وإنما كلامُهُ هو اللفظُ المخلوقُ فقط الذِى يُوجِدُهُ فِى غيرِهِ.

قال رحمه الله (**ولا نُخالفُ جماعةَ المسلمين**).

(**الشرحُ**) أنَّ المرادَ بقولِ المؤلفِ رحمهُ اللهُ (ولا نخالف جماعة المسلمين) امتناعُ مخالفةِ الإجماعِ أىْ إجماعِ المجتهدين لأنَّهُم لا يُجمعونَ على باطلٍ كما قال تعالى فِى سُورةِ النِّساءِ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ وكما ثبت عن أبِى مسعودٍ البدرىِّ رَضِىَ الله عنه لا يجمع اللهُ أمةَ محمد على ضلالة اهـ رواه الحافظُ ابنُ حجر فِى أماليه وصحَّحَهُ، ولا يَخفَى أنَّ العوامَّ مأمورونَ باتباعِ المجتهدينَ وهو يَقتَضِى أنْ يكونَ إجماعُ المجتهدينَ هو سبيلَ المؤمنينَ.

قال رحمه الله (**ولا نُكَفِّرُ أحدًا من أهلِ القبلةِ بذنبٍ ما لم يستحلَّهُ ولا نقولُ لا يضرُّ معَ الإيمانِ ذنبٌ لمن عَمِلهُ**).

(**الشرحُ**) أنَّ هنا مسألتَيْنِ إحداهما الردُّ على الخوارج حيث قالوا بتكفير العاصِى لمجرد ارتكابِ المعصيةِ فإنَّنا نخالفهم فِى ذلك ونقولُ إنَّ المسلِمَ لا يكفرُ بما دونَ الكفرِ من المعاصِى كبيرةً كانتْ أو صغيرةً ما لم يدَّعِ جوازَها وكانتْ حرمتُها معلومةً مِن الدين بالضرورة، والثانيةُ الردُّ على المرجئة فِى قولِهِم لا يَضُرُّ مع الإيمان ذنبٌ بمعنَى أنَّ عصاة المؤمنين لا يعاقَبُونَ فِى

الآخرةِ مهما فعلُوا مِن المعاصِى وهو معاندةٌ ظاهرةٌ للشريعةِ وردٌّ للنصوص وهو كفرٌ.

قال رحمه الله (**نرجو للمُحسنينَ مِن المؤمنين أن يعفوَ عنهم ويُدْخِلَهُمُ الجنة برحمته ولا نأمَنُ عليهم ولا نشهدُ لَهُمْ بالجنةِ**).

(**الشرحُ**) أنَّ المحسنينَ هم المتقون الذين تحقَّقُوا بالإحسان الذِى ورد فِى حديث جبريل مِن قوله ﷺ لَمَّا سأله جبريلُ عنِ الإحسانِ الإحسانُ أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ اهـ ومَن وصل إلى هذه الحالة فهو مِنَ الآمنين مِن عذاب الله فى الآخرة، ومع ذلك لا نقول بالتعيينِ لأحدِهِم (فلانٌ من أهل الجنة أو هو ءَامِنٌ مِن عذابِ النارِ) إلَّا مَن عيَّنَهُ الشَّرعُ لأننا لم نَطَّلِعْ على باطن حاله بل نحن نعلم منه ظاهرَ حالِهِ لكن نعتقد أنه إن تحقَّقَ له صفةُ الإحسان فهو ءَامِنٌ من أهل الجنة والله أعلمُ بحاله أىْ فلا نقولُ فِى صالحٍ مِنَ الصالحين إنه مِن أهلِ الجنةِ بلا تعليقٍ أمَّا مع التعليق أىْ بأن يُقالَ هو من أهل الجنة إن شاء الله فلا بأس. وأما من حيث الاعتقاد فنحن نجزم بأنَّ المؤمن الذِى وصل إلى هذه المرتبة فهو مقطوعٌ له بدخول الجنة بلا عذابٍ.

قال رحمه الله (**ونستغفرُ لمُسيئِهم ونخافُ عليهم ولا نُقَنِّطُهُم**).

(**الشرحُ**) أنَّنا نستغفر لعصاة المسلمين ونخشى عليهم أن يعذبهم الله بذنوبهم إن ماتوا قبل التوبة منها ولا نُقَنِّطُهم أىْ لا نجعلهم ءايِسِين مِنْ رحمة الله ونقولُ إنَّ اللهَ يغفرُ لَهُمْ إن شاء كما قال تعالى فِى سورة النساء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(١).

قال رحمه الله (**والأمنُ والإياسُ يَنْقُلانِ عن مِلَّةِ الإسلام**).

(**الشرحُ**) أنَّ الأمنَ مِن مَكر اللهِ واليأسَ مِن رحمة الله يُخرجان من الإيمان ويَجعلان صاحبَهُما كافرًا فَفِى الأمنِ عمَّا أوعد ظَنُّ العجزِ عن العقوبة وتنفيذِ وعيدِهِ وفِى الإياسِ ظنُّ العجز عن الرحمة وربما قالوا الأمنُ أن يعتقِدَ أنَّ الذَّنْبَ لا يضُرُّ والإياسُ أن يعتقِدَ أنَّ ذنوبه لا تُغفرُ ولو تابَ اهـ وكلُّ واحدٍ منهما ناقلٌ عَنِ المِلَّةِ فمعنى الأمن مِن مَكر الله عند الحنفية أن يجزمَ الشخصُ فيقولَ لا يمكن أن أدخل النارَ أىْ يجعله مستحيلًا فيقول أنا واجبٌ لِى دخولُ الجنةِ والفوزُ ولا يجوز عكسه فيجعل كَوْنَ عاقبتِهِ غيرَ ذلك مستحيلًا ولذلك يحكمونَ بأنه كفرٌ واليأسُ مِن رحمة الله عندهم مقابلُ هذا.

أمَّا الشافعيةُ فالأمنُ واليأسُ عندهم كبيرتان لم يعدُّوهُما كفرًا ينقلُ عَنِ المِلَّةِ وذلك لأنهم فسَّرُوهُما بغير تفسير الحنفية لأنَّ الأمنَ مِن مَكْرِ اللهِ عندهم هو أن يعقد العبد قلبه على أن الله لا يعذبه بل يرحمه مع علمه بأنه متلوث بالذنوب الكبائر واسترساله فيها، واليأسُ تفسيره عندهم أن يعقد العبد قلبه على أنَّ الله لا يغفر له ولا يرحمه بسبب الذنوبِ التِى لم يتبْ منها، فتفسير الماتريدية للأمن واليأس غيرُ تفسير الأشعرية ومِن هنا اختلف الفريقانِ فِى الحكمِ على الواقعِ فِى أحدهما.

---

(١) سورة النساء/ءاية (٤٨).

قال المؤلفُ رحمه الله (**وسبيلُ الحق بينهُما لأهلِ القبلة**).

(**الشرحُ**) أنّه إذا كان الأمنُ مِن مَكر الله واليأسُ مِن رحمتِهِ كفرًا عند الماتريدية ومعصيةً كبيرةً عند الأشاعرة فما هو طريق النجاة الذِى يَنْبَغِى أن يكون عليه المؤمنُ، الجوابُ أَنَّهُ الوقوفُ بالجمع بين الحالتين الخوفِ والرجاءِ أىْ أنْ يكونَ العبدُ خائفًا راجيًا يخاف عقابَ اللهِ على ذنوبه ويرجو رحمةَ اللهِ كما قال تعالى فِى سورة السجدة ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾(١). قال بعض العلماء لو وُزِنَ خَوْفُ المؤمنِ ورجاؤه لَاعْتَدَلَا كجناحَىِ الطائرِ اهـ وقال تعالى فِى سورةِ الإسراء ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾(٢) وقال تعالى فِى سُورةِ الأنبياءِ ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾(٣).

قال رحمه الله (**ولا يخرجُ العبدُ مِنَ الإيمانِ إلا بجحودِ ما أدخلهُ فيهِ**).

(**الشرحُ**) أنَّ المؤمنَ لا يَخرج مِنَ الإيمان إلا بجحودِ ما أدخلَهُ فِى الإيمانِ وذلك لأنَّ الإيمانَ هو التصديقُ والقَبُولُ فَمَنْ تركَ ذلك لسببٍ مِنَ الأسباب إما باعتقادِ ما يُنَافِى ذلك أو بفعلِ شَىْءٍ يدلُّ على الاستخفافِ بِدِينِ اللهِ كَرَمْىِ المصحفِ فِى القاذورة أو السجود للوثن أو بقولٍ يَدُلُّ على الاستخفافِ بالله كَسَبِّهِ أو سبِّ نَبِىٍّ مِن أنبيائه أو جَحْدِ نَصٍّ مِنَ القرءان أو سُنَّةِ رسوله ﷺ فقد كفرَ.

---

(١) سورة السجدة/ ءاية (١٦).

(٢) سورة الإسراء/ ءاية (٥٧).

(٣) سورة الأنبياء/ ءاية (٩٠).

قال رحمه الله (**والإيمانُ هوَ الإقرارُ باللِّسانِ والتصديقُ بالجَنان**).

(**الشرحُ**) أنَّ تعريفَهُ للإيمانِ مأخوذٌ مِن قوله ﷺ أُمِرْتُ أنْ أُقاتلَ الناسَ حتَّى يَشْهَدُوا أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ وأنِّى رسولُ اللهِ ويُؤمنوا بِى وبما جئتُ به اهـ ومعنَى يَشهدُوا أنْ يُقِرُّوا على وفقِ العِلمِ والمعرفةِ.

قال رحمه الله (**وجميعُ ما صَحَّ عن رسول الله ﷺ منَ الشرعِ والبيانِ كلُّهُ حقٌّ**).

(**الشرحُ**) أنَّ جميع ما أنزل الله فِى القرءان وجميعَ ما صحَّ عن رسول الله مِنَ الشرعِ والبيانِ كُلُّهُ حقٌّ.

قال الشيخ أحمد المرزوقِىُّ مِن الرَّجز

وكلُّ ما أتَى بِهِ الرَّسُولُ فحقُّهُ التسليمُ والقَبُولُ اهـ

قال رحمه الله (**والإيمانُ واحدٌ وأهلُهُ فِى أصلِهِ سواءٌ والتفاضُلُ بينهم بالخَشْيَةِ والتُّقَى ومُخالفةِ الهَوَى ومُلازمةِ الأَوْلَى**).

(**الشرحُ**) أنَّ الإيمانَ لَمَّا كان هو التصديقَ بما جاء به رسولُ اللهِ ﷺ كان أصلُهُ غيرَ متفاوت وإنما التفاوتُ فِى صفتِهِ، والتفاضلُ فِى الإيمان بين أفراد المؤمنين على حسب تفاضُلِهِم فِى التُّقَى ومخالفةِ الهَوى والإكثار مِن النوافل فمن قال إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص أىِ الإمامُ أبو حنيفةَ ومَن تبعهُ فمرادُهُ أنَّ أصلَ الإيمان الذِى لا يتحقق معناه بدونه لا يزيد ولا ينقص، ومَن قال الإيمان يزيد وينقص فمرادُهُ زيادةُ الثباتِ واليقينِ والخشيةِ والورعِ وهذا اختلافٌ لفظِىٌّ.

قال رحمه الله (**والمؤمنونَ كُلُّهُم أولياءُ الرحمٰنِ وأكرمُهُم عند اللهِ أطوعُهُم وأتبعُهُمْ للقُرءان**).

(**الشرحُ**) أنَّ المقصودَ بقولِهِ (المؤمنون) المؤمنونَ الكاملونَ الذين قال الله فيهم فِى سُورةِ يُونُسَ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[1] وقال فيهم رسولُ الله ﷺ فيما يرويه عن ربِّهِ مَن عادَى لِى وليًّا فقد ءَاذَنْتُهُ بالحرب اهـ فهذه الولاية ليست بمجرد كثرة الطاعات بل هى بالاستقامة بلزوم الطاعة، ويتضمن ذلك معرفة ما افترض الله على عباده من علم الدين الذِى تُصَحَّحُ به العقيدةُ وتُصَحَّحُ به الأعمالُ وتُتَجَنَّبُ به المعاصِى الظاهرةُ والباطنةُ، وأما مجرد كثرة الصلاة والصيام وقراءة القرءان والصدقة وكثرةِ الذِّكْرِ فلا يَبلغ بها العبدُ الالتحاقَ بهؤلاءِ الأولياءِ لِقَوْلِ رسولِ اللهِ ﷺ رُبَّ قائم حظُّهُ مِن قيامه السهرُ ورُبَّ صائمٍ حظُّهُ مِن صيامِهِ الجُوع والعطشُ اهـ رواه ابنُ حبانَ.

ويجوزُ أنْ يكونَ الطحاويُّ رحمه الله أرادَ أنْ يَعُمَّ المؤمنينَ بكلامِهِ وأنهم كلَّهم أولياءُ اللهِ عزَّ وجلَّ لا على معنَى أَنَّهم مِن أهلِ الولايةِ الخاصَّةِ وأنَّ أفرادَ المؤمنين كُلَّهُمْ مُتَسَاوُونَ فِى نَيْلِ درجةِ الأمنِ مِنْ كُلِّ نوعٍ مِن أنواع النكد والمشقة فِى الآخرةِ بل على معنَى أنهم جميعًا مِن أهلِ الولايةِ العامةِ فإنَّهُ تعالى تَوَلَّى المُؤمنين أىْ حَفِظَهُمْ مِن العذاب الذِى يُعَذِّبُ به الكافرين.

---

(١) سورة يونس/ءاية (٦٢ - ٦٤).

وقوله رحمه الله (وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرءان) معناه أن أكرم المؤمنين عند الله هو أقواهم وأشدهم عملًا وتمسكًا بالقرءان كما قال الله تعالى فى سورة الحجرات ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[(١)].

قال رحمه الله (**والإيمانُ هو الإيمانُ باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ واليومِ الآخِرِ والقدَرِ خيرهِ وشَرِّهِ وحُلْوِهِ ومُرِّهِ مِنَ اللهِ تعالى. ونحن مؤمنونَ بذلكَ كُلِّهِ لا نفرِّقُ بين أحدٍ مِن رسلهِ ونُصدِّقُهم كُلَّهم على ما جاءُوا به**).

(**الشرحُ**) أنَّ أهمَّ أمورِ الإيمانِ القلبيةِ وأعظمَهَا التصديقُ بوجودِ اللهِ وملائكتِهِ، وأنَّ اللهَ تعالى أنزلَ كتبًا على النَّبِيِّينَ كلُّها حقٌّ، والتصديقُ برسُلِ اللهِ كلِّهِم وأنَّهُ تعالى أرسلَهم مُبَشِّرينَ ومُنْذِرِينَ والمرادُ بالرُّسُلِ هنا ما يشمل الأنبياء جميعًا، وأنَّهُ سيَبعَثُ الناسَ للحسابِ يوم القيامةِ، والتصديقُ بالقدر خيره وشره أىْ بأنَّ كُلَّ ما يحصل فِى الوجود بما فِى ذلك أعمال العباد خيرها وشرها والأشياء الملائمة للطبع كالصحة وغير الملائمة كالمرض فبتقدير الله وُجد.

ثم المُقدَّر منه حسنٌ ومنه قبيحٌ ومنه حلوٌ ومنه مُرٌّ، ونحن مأمورون بالرضا بقدر الله الذِى هو صفةٌ له وأما المقدور فمنه ما نرضَى به وهو ما كان حسنًا شرعًا ومنه ما نكرهُهُ وهو ما كان مكروهًا شرعًا.

---

(١) سورة الحجرات/ءاية (١٣).

وأخذَ الطحاويُّ رحمه اللهُ قولَهُ مِنْ حَديثِ جبريلَ الذِى رواه الشيخانِ البخاريُّ ومسلمٌ وغيرُهُما وهو حديثٌ مشهورٌ فيه أنَّ جبريل قال يا محمد أخبرنِى ما الإيمانُ فقالَ ﷺ الإيمانُ أنْ تؤمنَ باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ واليوم الآخِرِ والقدرِ خيرِهِ وشَرِّهِ اهـ وليس معنَى الحديثِ أنَّ مَن لم يستحضرْ هذه الأمورَ الستة فليس بمؤمن أصلًا وإنما معنَى الحديثِ أنَّ أهم أمور الإيمان القلبية هِىَ هذا القَدْرُ مع كونِ التكذيبِ بأيٍّ منها كفرًا، وأمَّا القَدْرُ الذِى لا بُدَّ منه لحصولِ أصلِ الإيمانِ فهو الإيمانُ والتصديقُ بوجود الله واستحقاقِهِ وحدَهُ العبادةَ وبرسالة محمدٍ ﷺ فَمَنِ استحضرَ هذا القَدْرَ فقطْ واعتقدَهُ اعتقادًا جازمًا مِن غيرِ أنْ يخطُرَ ببالِهِ ما سِوى ذلك مِن أصولِ الإيمانِ ومِن غيرِ أنْ يُكَذِّبَ بها فهو مؤمنٌ سواءٌ عرفَ الدليلَ على ذلك أو لم يعرف، لكن معرفةُ الدليلِ واجبٌ عليه فإن استدَلَّ بالدليلِ التفصيلِيِّ أو استدَلَّ بالدليلِ الطبيعِيِّ فهو مؤمنٌ عن دليلٍ وإن خَلَا عن الأمرين فهو مؤمنٌ عاصٍ.

قال رحمه الله (وأهلُ الكبائرِ مِن أمة محمد ﷺ فى النارِ لا يَخلدون إذا ماتوا وهم مُوَحِّدُونَ وإنْ لم يكونوا تائبينَ بعد أن لَقُوا اللهَ عارفينَ مؤمنينَ وهُمْ فِى مشيئتهِ وحكمهِ إن شاء غفرَ لَهُمْ وعَفَا عنهم بفضلهِ كما ذكر عَزَّ وجَلَّ فِى كتابه ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾(١) وإنْ شاء عذَّبَهُمْ فِى النَّار بِعَدْلِهِ ثم يُخرجُهُم منها برحمتهِ وشفاعةِ الشافعينَ مِن أهل طاعته ثم يبعثُهُم إلى جنَّتِهِ وذلك بأَنَّ الله تعالى تولَّى أهلَ معرفتهِ ولم يجعلهم فِى الدارَيْنِ كأهل نُكرتهِ الذينَ خابوا من هدايتِهِ ولم ينالوا مِن وِلايَتِهِ. اللّهُمَّ يا وَلِيَّ الإسلامِ وأهلِهِ ثبِّتْنا على الإسلام حتى نلقاكَ به).

(**الشرحُ**) أنَّ الكبائر قريبٌ عددُها من أربعينَ معصيةً عدَّ منها أهلُ العِلم خمسةً وثلاثين مِن غيرِ ادِّعاءِ حصرٍ وأوصلها ابن حجر الهَيْتَمِيُّ إلى أربعِمائةٍ وزيادةٍ وليسَ حسنًا فإنَّ بعضَ ما ذَكَرَهُ منها لا ينطبقُ عليه حدُّ الكبيرة.

وقوله (بعد أنْ لَقُوا الله) معناه إذا ماتُوا لأنَّ لقاء الله يعبَّرُ به عن الموت لأنَّ العبد إذا مات صار مهيَّأً لأنْ يَلْقَى جزاءَهُ.

ومعنَى كلامِ الطحاويّ أنَّ مِن أصولِ عقائدِ أهلِ السنةِ أنَّ عصاة المؤمنينَ الذين ماتوا بلا توبة وكانوا مِن أهل الكبائر فإنَّ اللهَ تعالى يُعَذِّبُ قسمًا منهم ويسامحُ قسمًا. ومَنْ شاءَ عذابَهم فإنه لا بد أن يخرجهم من النار قسمًا بشفاعة الشافعين مِن أهل طاعته إما الأنبياء وإما العلماء الأتقياء وإمَّا غيرهم كالشهداء

---

(١) سورة النساء/ ءاية (٤٨).

وقسمًا بدونِ شفاعةِ أحدٍ بل يُخرجُهُم اللهُ مِنَ النارِ بمحض رحمتِهِ ويُدخِلُهُمُ الجنةَ.

وقولُهُ رحمه اللهُ (ذلك بأنَّ اللهَ تعالى تَوَلَّى أهلَ معرفتِهِ) معناه أنَّ اللهَ يحفظُ أهلَ معرفته المؤمنين به (ولم يجعلهم) أىْ لم يجعل المؤمنين الذين هم مِن أهل الكبائر (فِى الدَّارَيْنِ) الدُّنيا والآخرةِ (كأهل نكرته) أىِ الذين ينكرون دينه بالكفر به أو بأنبيائه (الذين خابوا من هدايته) أى لم ينالوا الولاية العامة التى تكون للمؤمنين كما قال تعالى فِى سورة الجاثية ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١﴾ وقال فِى سُورةِ السجدة ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨﴾ والمراد بالفاسق هنا الكافر لأنَّ رأسَ الفِسْقِ الكفْرُ.

وأما قوله (اللهم يا وَلِيَّ الإسلام وأهلِهِ ثَبِّتْنَا على الإسلام حتَّى نلقاكَ به) فمعناه ثَبِّتْنَا على الإيمان حتى نموتَ فإنَّ العبرة بما يُختم به للعبد. ولَمَّا كان الموتُ على الإسلام هو سببَ النجاة قال يوسف عليه السلام حين استقرَّ فِى المُلك واجتمع بالأهل ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾[1] أىِ اجعل خاتِمَتِى كخاتمة غيرِى مِن أنبيائك الصالحين.

---

(١) سورة يوسف/ءاية (١٠١).

قال رحمه الله (**ونرى الصلاةَ خلفَ كل برٍّ وفاجر من أهل القبلة**).

(**الشرحُ**) أنَّ المسلمَ الفاجر أيِ الفاسقَ ما دام لم يخرجْ مِنَ الإسلام بكفرٍ يَقطعُ الإسلامَ فإنَّ الصلاة خلفه تصحُّ كما تصح خلفَ التَّقِيِّ وهو البرُّ لكن لا ثوابَ فيها، والفسق أنواعٌ فكلُّ مَن كانت به صفةٌ مِن تلك المعاصى الكبائرِ يُسَمَّى فاسقًا وقد كان بعضُ الصحابةِ يُصَلُّونَ خلف الحجاج بن يوسف تجنبًا للفتنة.

قال رحمه الله (**وعلى مَن ماتَ منهُم**).

(**الشرحُ**) أنه مِمَّا يَعتقدُهُ أهلُ الحقِّ الصلاةُ على المسلم الفاسق إذا مات لأنَّ الرسول أمَرَ أصحابه بالصلاة على بعضِ أصحابِ الكبائر كما روى ابن ماجه عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ تُوُفِّيَ رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعَ بِخَيْبَرَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ فَأَنْكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ وَتَغَيَّرَتْ لَهُ وُجُوهُهُمْ فَلَمَّا رَأى ذَلِكَ قَالَ إِنَّ صَاحِبَكُمْ غَلَّ فِى سَبِيلِ اللهِ قَالَ زَيْدٌ فَالْتَمَسُوا فِى مَتَاعِهِ فَإِذَا خَرَزَاتٌ مِنْ خَرَزِ يَهُودَ مَا تُسَاوِى دِرْهَمَيْنِ اهـ

قال رحمه الله (**ولا نُنزِلُ أحدًا منهم جنةً ولا نارًا**).

(**الشرحُ**) أنَّنا لا نقول بالتعيين فلانٌ مِن أهل الجنة ولو كان صالحًا ولا نقول عن مسلم عاصٍ مهما بلغ فِى المعصية فلانٌ مِن أهل النار لكن نقولُ إجمالًا الأتقياءُ يدخلون الجنةَ بلا عذابٍ ونعلِّقُ الأمر بالخاتمة. أمَّا مَن أخبر عنه الرسولُ ﷺ بأنه من أهل الجنة فَنُنْزِلُهُ الجنةَ أىْ نحكم له بأنه من أهل الجنة

كالعشرة المبشرين وعبد الله بن سلام وكذلك أهلُ بدرٍ وأهلُ الحُدَيْبِيَةِ.

قال رحمه الله (**ولا نَشهدُ عليهم بكفرٍ ولا بشركٍ ولا بنفاقٍ ما لم يظهر منهم شَىْءٌ من ذلك**).

(**الشرحُ**) أنه لا يجوز أن نقول عن مسلم إنه كافر أو مشرك أو منافق أىْ إذا أُريد به النفاق فى الإيمان إنْ لمْ يُظهِرْ شَيئًا مِن ذلك لأن الطعن بذلك مِن غير ظهور ذلك يكون اتباعًا للظنّ المحظورِ اتباعُهُ. قال الله تعالى فِى سورة الحجرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾[1].

قال رحمه الله (**وَنَذَرُ سرائِرَهم إلى الله تعالى**).

(**الشرحُ**) أنَّنا نفعلُ ذلك لأنَّ الله هو المطلع عليها دون العباد فوجب تفويض ذلك إليه فإنَّ الله تبارك وتعالى لم يُطْلِعِ الرَّسُولَ على ما يُضمره كلُّ أحدٍ مِمَّنْ يأتِى إليه فهذا عبدُ اللهِ بنُ أبَىّ بن سَلُولٍ كان يظهر منه النفاقُ حتى عرفه المؤمنون لكن بما أنه كان بعدما يظهر منه يُنكر ويُخالط المُسلمين فيُصَلِّى معهم لمَّا مَرِضَ مَرَضَ وفاتِهِ طلب له ابنه عبدُ الله وكان مِن المؤمنين الثابتين مِن الرسول أن يُكَفَّنَ بثوب من رسول الله فأعطاه الرسول ﷺ ثوبًا فكُفِّنَ به ثم الرسول ﷺ قام فصلَّى عليه لأنه كان تلك الساعةَ ظنَّ أنه أخلص بالإيمان مع ما كان عليه مِن ظاهر الإسلام ثم نَزَلَتِ الآيةُ مِن سورة التوبة ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ

(١) سورة الحجرات/ءاية (١٢).

﴿مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[١] فَعَلم أنه لم يزل كافرًا بنفاقه. فإذا كان الرسولُ عليه الصلاةُ والسلامُ هذا حاله فكيف غيره.

قال رحمه الله (**ولا نَرَى السَّيْفَ على أحدٍ من أمة محمد ﷺ إلا منْ وجبَ عليه السيفُ**).

(**الشرحُ**) أنه لا يجوز شهر السلاح لقتال مسلم إلا أن يكون لسببٍ شرعيّ كما فعل أبو بكر فإنه أرسل إلى المرتدين جيشًا أمَّر عليه خالد بن الوليد فقاتلوهم ورَأَى أبو بكرٍ أنْ تُقْتَلَ مقاتلتُهُم أىْ رجالُهُمُ البالغون وتُسْبَى أىْ تُستَرَقَّ نساؤهم وذراريهم أىْ أطفالُهُم. والعجب العجاب قولُ بعض العصريين إنَّ الإسلام جاء ليقطع الرق بالتدريج، ولو فهم أبو بكر ما يفهم هؤلاء ما استرقَّ نساء المرتدين وصبيانهم فهؤلاء لا يعلمون ما يأتون وما يذرون وإذا تكلموا فِى أمور الدين حرَّفوا دينَ الله وزعموا أنهم يُرشدون الناس إلى دين الله.

والبغاةُ يجوز قتالهم حتى يرجعوا إلى طاعة الخليفة، وكان علىُّ بنُ أبِى طالب أولَ مَن قاتل البغاة لأنَّ الرسول قاتل المشركين ثم أبو بكر قاتل المرتدين وعمرُ قاتل المشركين فأدخل فِى الإسلام أقوامًا وكذلك عثمان ثم شَغَلَ عليًّا أمرُ البغاة عن قتال المشركين فقاتل المتمردين فِى وقعة الجملِ وصِفِّين والنَّهْروان. وكان قتال علىٍّ لِمَنْ خرجوا عن طاعته فرضًا عليه وعلى المسلمين فهو ومَنْ قاتلوا معه مأجورون لأنهم أدَّوُا الفرض ويشهد لذلك قولُ علىٍّ رَضِىَ اللهُ عنه أُمِرْتُ بقتال

---

(١) سورة التوبة/ ءاية (٨٤).

الناكثين والقاسطين والمارقين اهـ وهذا صحيح الإسناد. قال تعالى فِى سورة الحجرات ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبۡغِى﴾[1] فقول ابن تيمية فِى كتابه منهاج السنة النبوية إن القتال مع عَلِيٍّ ليس بواجبٍ ولا مستحبٍّ اهـ ظاهر البطلان مخالف للآية. والله أعلم ماذا أراد ابنُ تيمية هل أراد تنقيص عليٍّ رَضِىَ الله عنه كما وصفه الحافظ ابن حجر فى لسان الميزان بذلك أم نزل به الجهل بهذه المسئلة إلى هذا الحضيض.

قال رحمه الله (**ولا نَرَى الخروجَ على أئمتنا وولاةِ أمورنا وإنْ جاروا ولا ندعو عليهم ولا نَنْزِعُ يدًا مِن طاعتهم ونَرَى طاعَتَهُم مِن طاعة الله عز وجل فريضةً ما لم يأمروا بمعصية**).

(**الشرحُ**) أنَّهُ يحرم الخروجُ على السلطان الذِى انعقدَتْ له البَيْعَةُ الشرعيةُ أىْ يحرُمُ منازعتُهُ ومحاربتُهُ لِخَلْعِهِ مِن الخلافةِ وإنْ ظلمَ ما لم يكفرْ لقوله ﷺ مَنْ كَرِهَ مِن أميره شيئًا فليصبرْ عليه فإنه ليس أحدٌ مِنَ الناس خرج مِنَ السلطان شبرًا فمات عليه إلا مات مِيتَةً جاهليةً اهـ رواه مسلم من حديث عبد الله بن عباس.

وكذلك لا يجوزُ الدعاءُ عليهم دعاءً يُحرِّكُ فتنةً.

ونُطيعُهُمْ وُجُوبًا فيما أمرُوا به مِن المصالِحِ لأنَّ الله تعالى أمرنا بذلك لا فِى ما يُخالفُ ما طلبَهُ الشَّرعُ فلا تجبُ طاعتُهُم فيه فإنَّ طاعةَ الخالقِ مقدَّمةٌ على طاعةِ العبدِ فالطاعة التِى أمَرَ اللهُ بها المؤمنين لأُولِى الأمر هِىَ الطاعة فِى طاعة الله ليس فِى معصية الله. رَوَى

(١) سورة الحجرات/ ءاية (٩).

مسلم أنَّ عبد الرحمن بن عبد ربِّ الكعبة قال لعبد الله بن عمرو بن العاص إنَّ ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا وقال الله تعالى أىْ فِى سُورةِ النساءِ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾(١) وقال أىْ فِى السُّورةِ نفسِها ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾(٢) فسكتَ عبدُ اللهِ بنُ عَمْرٍو ساعةً ثم قال أَطِعْهُ فِى طاعةِ اللهِ واعْصِهِ فِى معصيةِ اللهِ اهـ

قال رحمه الله (**وندعو لهم بالصلاحِ والمُعافاة**).

(**الشرحُ**) أىْ نَدْعُو أن يصلحَهُمُ اللهُ ويعافِيَهُمْ مِن مخالفة أوامره.

قال رحمه الله (**ونَتْبَعُ السنة والجماعة**).

(**الشرحُ**) أنَّ أهلَ السُّنة والجماعة هم الذين يعتقدون عقيدة الصحابة والتابعين ومَنْ تبعهم بإحسان، هؤلاء هم أهل السنة والجماعة وإنما سُموا أهل السنة لأنهم على سنة رسول الله وسُمُّوا أهلَ الجماعةِ لأنهم لم يخرجوا عن جمهور الأمة فِى الاعتقادِ الحقِّ، إنما الشراذم المفترقة عنهم إلى اثنتين وسبعين فرقة هِىَ التِى خالفت اعتقاد الصحابة وقد تقدم ذلك.

قال رحمه الله (**ونجتنبُ الشذوذَ والخلافَ والفُرقةَ**).

(**الشرحُ**) أنَّ الشذوذَ والخلافَ والفرقةَ يُرادُ بها هنا الخروجُ

(١) و(٢) سورة النساء/ءاية (٢٩).

عن الإجماع فِى المسائل الاجتهادية التِى اجتهد فيها أهلُ الاجتهادِ.

والمُرادُ بأهلِ الاجتهاد ما شرحه أحدُ رؤوسِهِم وهو الإمام الشافعيُّ رَضِىَ الله عنه فِى بيان شرط الاجتهاد فِى كتابه الرسالة قال يُشترط أن يكون عالمًا بالأحكام من كتاب الله وبناسخه ومنسوخه وعامّه وخاصّه، ويستدل على ما احتمل التأويل بالسنة وبالإجماع، فإن لم يكن فبالقياس على ما فِى الكتاب، فإن لم يكن فبالقياس على ما فِى السنة، فإن لم يكن فبالقياس على ما اتفق عليه السلف وإجماع الناس ولم يُعرف له مخالف اهـ ولا يخفَى أنَّ فِى كلامِ الشافعيّ هذا إثباتَهُ حجيةَ الإجماعِ. ونقلَ الإمام الحافظ المجتهد ابنُ المنذر فِى كتابه الأوسط عن الإمامِ أحمد فِى بيعِ الكَالِئِ بالكَالِئِ (إنه بالإجماع) اهـ فلا يُلتفت بعد هذا إلى قولَ ابن قيم الجوزية تبعًا لشيخه ابن تيمية إنَّ الإمامَ أحمدَ قال من ادعى الإجماع فقد كذب اهـ وإنما ادَّعَى ابنُ تيميةَ هذا عن أحمد ليسهُلَ على مَن يَسْمَعُ كلامَهُ قبولُ مخالفته للإجماع وهو قد فعلَ فِى مسائلَ كثيرةٍ قال الحافظُ أبو زُرْعَةَ العراقِيُّ قِيل إنها تبلغ ستين مسألة اهـ

قال العلماءُ فإذا انقرض عصر الصحابة على الإجماع على حكم من الأحكام الفرعية حرم على من بعدهم أن يخالفوهم بالاجتهاد، وكذلك إذا انقرض عصر التابعين على قولٍ أو قولين أىْ قال قسمٌ مِن أئمة التابعين قولًا وقال قسم قولًا يخالفه فإذا انقرض عصر هؤلاء فلا يجوز لمن جاء بعده أن يحدثوا قولًا ثالثًا، وهكذا بالنسبةِ لِمُجتهِدِى أتباعِ التابعينَ فمَنْ بعدَهم.

قال رحمه الله (**ونُحبُّ أهلَ العدلِ والأمانةِ ونُبغضُ أهل الجورِ والخيانة**).

(**الشرحُ**) أنَّنا نحبُّ أهلَ السُّنة المتمسِّكين بالعدلِ مِن ولاةِ الأمورِ ونُبغِضُ أهلَ الظلمِ والخلافِ والعصيانِ.

قال رحمه الله (**ونقولُ اللهُ أعلمُ فيما اشتبهَ علينا عِلْمُهُ**).

(**الشرحُ**) أراد الطحاويُّ بذلك أنَّ الإنسان قد يتشكك عندما يَشْتَبِهُ عليه الأمرُ فعندئذٍ يلجأ العبد إلى التفويض إلى الله ويعتقد الحقّيةَ فِى كل ما ثبت عن الله وعن رسوله ﷺ ويعرف يقينًا أن عقول الخلق قاصرة عن الحكم البشرية فكيف تُدرك جميع الحكم الربوبية ونجزمُ بأنَّ ما ثبتَ عن اللهِ فله محملٌ حسنٌ يليقُ به تعالى وما ثبتَ عن رسول الله ﷺ له محملٌ حسنٌ يليقُ به كما كان أمير المؤمنين عليُّ بن أبِى طالب يقول إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ حَدِيثًا فَظُنُّوا بِهِ الّذِى هُوَ أَهْنَاهُ وَأَهْدَاهُ وَأَتْقَاهُ اهـ

قال رحمه الله (**ونَرَى المسْحَ على الخُفَّينِ فى السفرِ والحضرِ كما جاء فِى الأثر**).

(**الشرحُ**) لا مخالفَ فِى هذه المسئلة بين الصحابة وجمهور من جاء بعدهم، وقد جاء المسحُ على الخُفِّ عن رسول الله ﷺ بروايةِ عدَّةٍ مِن الصحابة منهم عليٌّ رَضِىَ اللهُ عنه فحديثُ المسح على الخفين متواترٌ رواهُ مَنْ لا يُحصى مِن المحدثين فِى مؤلفاتهم.

قال رحمه الله (**والحجُّ والجهادُ ماضيانِ معَ أُولِى الأمرِ مِنَ المسلمينَ بَرِّهم وفاجرهم إلى قيام الساعةِ لا يُبطلهما شَىْءٌ ولا ينقضهُما**).

(**الشرحُ**) أنه يجب الجهاد مع الإمام البَرِّ والفاجر فإذا استنفر الإمام المسلمين للجهاد وجب عليهم طاعته إن كان برًّا وإن كان فاجرًا، والمراد جهاد الكفار، أما لو أَمَرَ بقتال طائفةٍ من المسلمين بغير حق فلا يُطاع. وكذلك يُطاع للحج أىْ يُقْتَدَى به ولا يُتمرد عليه لأنه أدرَى بمصلحة العبادات كما هو أدرَى بمصلحة الجهاد أىْ قتال الكفار.

قال رحمه الله (**ونؤمنُ بالكِرامِ الكاتبينَ فإنَّ اللهَ قد جعلهُم علينا حافظينَ**).

(**الشرحُ**) أنَّ علينا الإيمانَ بالملائكةِ الكرامِ الكاتبينَ الذين وكلهم الله بكتابة أعمال العباد كما قال تعالى فِى سُورةِ الانفطار ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ فهذا نصٌّ صريح فى إثبات الحفظة وكتبة أعمال بَنِى ءَادم.

قال رحمه الله (**ونؤمن بمَلَكِ الموت المُوَكَّلِ بقبض أرواح العالمين**).

(**الشرحُ**) أنَّ ملك الموت وكّله اللهُ بقبض أرواح العالمين أى الإنس والجن والملائكة كما قال الله تعالى فِى سورة السجدة ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[1]. ولا يريد الطحاوىُّ

(١) سورة السجدة/ ءاية (١١).

بهذا أنه لا يقبض إلَّا أرواحَ العقلاء الثلاثةِ بل هو عليه السلامُ يقبضُ أرواحَ البهائم ونحوها كالطيور.

قال رحمه الله (**وبعذاب القبر لمن كان له أهلًا**).

(**الشرحُ**) أنه يجب أن نؤمن بحصولِ عذاب القبر ونعيمه وذلك لآياتٍ وأحاديثَ منها قول الله تعالى فِى سورة غافر ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[1]. ولا يجبُ عينًا معرفة كيفيةِ التعذيب والتنعيم فِى القبر للميت.

وقوله (لِمَنْ كان له أهلًا) أىْ إنه لا يُعَذَّبُ فِى القبرِ إلَّا مَنْ كانَ مستحِقًّا له وهم الكفارُ وأهلُ الكبائر مِن المؤمنينَ لكنَّ قِسْمًا مِنْ أهلِ الكبائرِ يعفُو اللهُ تعالَى عنهم فلا يُعذِّبُهُم فِى القبرِ مع استحقاقهم للعذاب.

قال رحمه الله (**وسؤال منكر ونكير فِى قبره عن ربِّهِ ودينِهِ ونبيِّهِ**).

(**الشرحُ**) أنه يجب الإيمان بسؤالِ المَلَكَيْنِ للميّتِ تصديقًا للنبِيّ ﷺ، ولا يجب معرفة كيفية السؤال لكنه يجب اعتقاد أنَّ الميت يعود إليه عقله وإحساسه بعود الروح إلى الجسم، وأنَّ الذينَ يُسألونَ هم البالغونَ المكلَّفُون ويُستثنَى منهم النَّبِىُّ ﷺ والشهداء. ويحصُلُ السؤال لأمة محمدٍ ﷺ فقط أىْ لأُمَّةِ الإجابةِ وأُمَّةِ الدَّعوةِ.

---

(١) سورة غافر/ءاية (٤٦).

قال رحمه الله (**على ما جاءتْ بهِ الأخبارُ عن رسول الله ﷺ وعن الصحابةِ رضوان الله عليهم والقبرُ روضةٌ من رياض الجنةِ أو حُفرةٌ من حُفَر النيران**).

(**الشرحُ**) أنَّ سؤال الملكين ونعيمَ القبر وعذابَهُ قد جاءتْ بإثباتها الأخبارُ الصحيحةُ المتكاثرةُ عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه الكرامِ رِضوان الله عليهم حتَّى إنَّ علماءَ الحديثِ قالوا إنَّ أخبارَ عذابَ القبر بلغتْ درجةَ التواترِ المعنوِيّ.

ومعنَى كونِ القبر روضةً من رياضِ الجنةِ أو حفرةً مِن حفر النار تشبيهُ نعيمه بنعيم الجنة وعذابه بعذاب النار وليس المرادُ أنه يصيرُ قطعةً من الجنة أو من النار أو مساويًا لهذه أو لهذه سواءً بسواءٍ.

قال رحمه الله (**ونؤمنُ بالبعثِ وجزاءِ الأعمالِ يومَ القيامةِ والعرضِ والحسابِ وقراءةِ الكتابِ والثوابِ والعقابِ والصراط والميزان**).

(**الشرحُ**) أنه يجب الإيمان بما ذُكر مِن البعثِ وجزاء الأعمال والعرض والحساب وقراءة الكتب والثواب والعقاب والصراط والميزان لأنَّ كُلًّا ورد به النصُّ الشرعىُّ فهذه المذكورات من العقائد السمعية التى لا يستقل العقل بمعرفتها فيُبعَثُ العبادُ مِن القبورِ يومَ القيامةِ للحسابِ ونيلِ جزاءِ أعمالِهم لأنَّ الدنيا جُعلت دار العمل لا دارَ الجزاء العام وإنما الآخرةُ هِىَ دارُ الجزاء، ثم يعبرُونَ على الصراطِ لقولِهِ تعالى فِى سورةِ مريم

﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾[(١)] ولِمَا ثبت عن رسول الله ﷺ مِن أخبارِ ضَرْبِ الصراط على متن جهنم، ويُعرَضُ العبادُ على الله تعالى كما قال عزَّ وجلَّ فِى سورة الكهفِ ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ﴾[(٢)] ويُعطَى كلُّ إنسانٍ كتابَهُ الذِى كتبه له المَلَكانِ كما فِى قوله تعالى فِى سورةِ الإسراءِ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ۝١٤﴾ وتوزَنُ أعمالُهُ كما قال تعالى فِى سورة الأنبياءِ ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[(٣)] ومِن العلماء من قال بأن الله تعالى يخلقُ من الأعمالِ أجسامًا تُوزَنُ ومنهم مَن قال الموزونُ الصحائف، ويكفِى للإيمان بذلك الاعتقادُ بحقية المراد به بدون معرفة التفاصيلِ. ثم يُثابُ بعد ذلكَ العبدُ على أعمالِهِ أو يُعاقَبُ إنْ لم يسامحْهُ اللهُ تعالى.

وقد تضمَّنَ قولُهُ (وجزاءِ الأعمال) الإيمانَ بالثواب والعقاب ولكنه أعاده رحمه الله تأكيدًا ومبالغة.

قال رحمه الله (**والجنةُ والنارُ مخلوقتانِ لا تفنيانِ أبدًا ولا تبيدانِ**).

(**الشرحُ**) أنه يجب الإيمان بالجنة ودوامِها ونعيمها وبالنارِ ودوامِها ودوام عقابها فالجنةُ أُعِدَّتْ للمتقين لإيمانهم على

(١) سورة مريم/ءاية (٧١).
(٢) سورة الكهف/ءاية (٤٨).
(٣) سورة الأنبياء/ءاية (٤٧).

التأبيد والنارُ أُعِدَّتْ للكافرين جزاء لكفرهم على التأبيد، وقد صرَّح الله فِى كتابه بذكر الخلود فى جزاء الكافرين وجزاء المؤمنين فوجب القول ببقاءِ الجنةِ والنارِ إلى الأبد ولم يخالف فِى ذلك أحد مِن المسلمين، وكان ابن تيمية نقل فى كتابه منهاج السنة النبوية أنه لا خلاف بين المسلمين فِى ذلك إلا أن جهمًا خالف فكفره المسلمون ثم قال هو بعد ذلك بخلاف ذلك فنَفَى بقاءَ النار.

قال رحمه الله (**وإنَّ الله تعالى خلقَ الجنةَ والنارَ قبلَ الخلقِ وخلقَ لهُما أهلًا فمنْ شاءَ منهُم إلى الجنةِ فضلًا منهُ ومن شاء منهم إلى النارِ عدلًا منه**).

(**الشرحُ**) أنَّ الطحاوِيَّ رحمه الله تعالى رجعَ إلى الكلامِ فِى إثباتِ أمرِ القدرِ وذلك لأنه مِن أهم أمورِ العقيدةِ فذكر أنه يجب أن نؤمن بأن الجنة والنار خُلِقَتَا قبل البشر وهم المرادون بقوله (قبل الخلق) وأنَّ الله خلقَ للجنة والنار أهلًا أىْ علمَ تبارَكَ وتعالَى فِى الأزلِ أنَّ قسمًا مِن العبادِ سيكونونَ مِن أهلِ النارِ فشاء ذلك لهم وقدَّرَهُ عليهم وخلقَهُمْ لتكونَ النارُ عاقبَتَهم وعلِمَ فِى الأزلِ أنَّ قسمًا مِن العبادِ سيكونونَ مِن أهلِ الجنةِ فشاء ذلك لهم وقدَّرَهُ عليهم وخلقَهُمْ لتكونَ الجنةُ عاقبتَهُم فهو يُدخِلُ مَنْ شاء من خَلْقِهِ الجنة بفضلِهِ على ما سبقَ فِى عِلمِهِ ومشيئتِهِ وقَدَرِهِ لا لأنَّ إدخالَهُم الجنةَ واجبٌ عليه سبحانَهُ ويسُوقُ مَن شاء إلى النار بعدلِهِ ولو لمْ يَشَأْ عذابَهُم لَمَا كانَ ذلك ظلمًا منه عزَّ وجلَّ.

ومِمَّا يدل على أن الثواب فى الجنة فضلٌ مِن الله تعالى قوله ﷺ لا يُنجِى أحدَكُمْ عملُهُ قالوا ولا أنت يا رسول الله قالَ ولا أنا إلا أنْ يَتَغَمَّدَنِى اللهُ برحمته اهـ

وأما كونُ تعذيبِ الكفار ومَن شاء سبحانه مِن عصاة المسلمينَ عدلًا فلأن الظلم هو وَضْعُ الشَّىْءِ فِى غيرِ موضعِهِ والتَّصَرُّفُ فِى غيرِ المِلْكِ وهو تعالى حكيمٌ متصرِّفٌ فِى مِلكه إثابةً وعُقُوبةً لا فِى مِلْكِ غيرِهِ لأنه المالِكُ لكلِّ شَىْءٍ ولأنَّ الظلمَ كذلكَ هو مخالفةُ أمرِ ونَهْىِ مَنْ له الأمرُ والنَّهْىُ واللهُ تعالَى ليس له ءَامرٌ ولا ناهٍ فيعذب مَنْ يشاءُ على ترك الواجباتِ وارتكاب المحرَّماتِ عدلًا منه وحكمةً.

قال رحمه الله (**وكلٌّ يَعملُ لِمَا قد فرغَ لهُ وصائرٌ إلى ما خُلِقَ له**).

(**الشرحُ**) أنَّ كلَّ عبدٍ مِنَ العباد يعمَلُ باختيارِهِ على وَفْقِ ما عَلِمَ اللهُ منه وشاءَ وقدَّرَ له وكتبَ أنه يعملُ فِى اللوح المحفوظِ وهو صائرٌ إلى ما قُدِّرَ له مِنَ الحَالِ والخاتمةِ.

قال رحمه الله (**والخيرُ والشرُّ مُقَدَّرانِ على العبادِ**).

(**الشرحُ**) أنَّ كُلَّ ما يحصلُ فِى العالَم مُقَدَّرٌ ومِن ذلك أفعالُ العبادِ سواءٌ كانتْ خيرًا أو شرًّا. قال تعالى فِى سُورةِ الفرقان ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾.

قال رحمه الله (**والاستطاعةُ التى يجبُ بها الفعلُ من نحوِ التوفيقِ الذى لا يجوزُ أن يُوصفَ المخلوقُ بهِ فَهِىَ مع الفعلِ، وأما الاستطاعةُ من جهةِ الصحةِ والوُسْعِ والتمكنِ وسلامةِ الآلاتِ فَهِىَ قبل الفعلِ وبها يتعلقُ الخِطابُ وهِىَ كما قال تعالى** ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]).

(**الشرحُ**) أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أخبرنا أنه لا يأمرُ العبدَ إلَّا بِمَا فِى وسعِهِ فالأمر بالفعل لا بُدَّ له مِنَ القُدرة على الفعل أىْ لا بُدَّ أنْ يكونَ الفعلُ فِى استطاعةِ العبد كما نصَّ على ذلك الكتابُ فِى نحوِ قولِ اللهِ تعالى فِى سُورةِ البقرةِ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

وقد قال أهلُ الحقِّ إنَّ الاستطاعة عندهم نوعانِ إحداهما مقارنةٌ للفعل وهِىَ القدرةُ الباطنةُ وتُسَمَّى أيضًا الاستطاعةَ الباطنةَ وهِىَ فِى الطاعات تُسَمَّى توفيقًا وفِى المعاصِى تسمى خِذلانًا ولا يتعلَّقُ بها خطابُ اللهِ التَّكليفِىُّ للعبادِ ويُحدِثُها اللهُ فِى العبدِ مقرونةً بالفعل فهِىَ تكونُ مع الفعل ويكون العبدُ بذلك مفتقرًا إلى توفيق الله تعالى ومشيئته وتأييده فِى كل لمحة ولحظة وهِىَ حقيقةُ العبوديةِ كما قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[2].

والاستطاعةُ الأخرى تسبِقُ الفعلَ وهِىَ القدرة الظاهرة أىِ

---

(١) سورة البقرة/ءاية (٢٨٦).

(٢) سورة فاطر/ءاية (١٥).

الوسع والتمكُّنُ وسلامة الأسباب والآلات أىْ كَونُ الحواسِّ التِى يَتَأَدَّى بها الفعلُ سالمةً وتكون قبلَ الفعلِ بلا خلافٍ وهِىَ التِى يتعلَّقُ بها خطابُ اللهِ التَّكليفِىُّ للعبادِ.

قال القُونَوِىُّ فِى شرحِ الطحاوية الاستطاعةُ نوعانِ إحداهما سلامةُ الآلات وهِىَ سابقةٌ على الفِعل بلا خلافٍ، وصحةُ التكليفِ تعتمدُ تلك الاستطاعةَ. والاستطاعةُ الثانيةُ عَرَضٌ تحدث عندنا مقارنةً للفعلِ، وقالت المعتزلة هى سابقةٌ على الفعلِ. ولنا فِى ذلك النصُّ والمعقولُ أمَّا النصُّ فقوله تعالى أىْ فِى سورة الكهف ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧﴾ ولو كانت الاستطاعة قبل الفعل لم يقل ذلك، وأما المعقولُ فمن وجوهٍ أحدها أنَّا أُمِرْنا بسؤالِ المعونةِ على العبادةِ مِنَ الله تعالى فلو كانت الاستطاعةُ قبل الفعل لكان الأمر بسؤالِ المعونةِ لَغْوًا اهـ

قال رحمه الله (**وأفعالُ العبادِ خلقُ اللهِ وكسبٌ مِنَ العباد**).

(**الشرحُ**) أنَّ العبادَ يكسِبُونَ أعمالَهُم ولا يخلُقونها بل هِىَ كلُّها مخلوقةٌ لله تعالى. وهذا يُخالِفُ قولَ الجبرية الذين زعموا أنَّهُ لا فِعْلَ للعباد على الحقيقة وإنما يضاف إليهم الفعلُ مجازًا كما يُقال جَرَى الماءُ واسودَّ الشعرُ، ويخالفُ أيضًا قولَ المعتزلةِ بأنَّ العبدَ هو الذِى يخلقُ فِعْلَهُ.

والكسب أمرٌ بين الاضطرار المحض وبين الاختيار المحض، فالعبد له اختيارٌ لكنَّ اختيارَهُ تحت مشيئةِ الله فليس هو مُجْبَرًا بالمعنَى الذِى تقوله الجبريةُ وليس هو مختارًا بالمعنى الذى تقوله المعتزلة.

ودلَّ على ما ذهب إليه أهل السنة مِنَ المنقُولِ قولُهُ تعالى فِى سورة الصَّافَّات ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾، ومِن حجج العقول أنَّ العالم أعيانٌ وأعراضٌ، والأعيانُ إمَّا متركبةٌ وهِىَ الأجسامُ أو غير متركبة وهِىَ الجواهر، وأمَّا الأعراض فمنها الحركات والسكنات والأقوال والأفعال والإرادات والاعتقادات فالجسم الواحد من الأعيانِ يتصف بهذه الأعراض الكثيرة فصار على قول المعتزلة أكثرُ العالَم مخلوقًا لغير الله تعالى وهو قول الثنوية، بلِ الثنوية أقربُ حالًا منهم لأنَّ الثنوية أثبتوا للعالم خالِقَيْنِ اثنين والمعتزلة أثبتوا خالِقِينَ لا يُحصون كثرةً حتى قالوا إنَّ كل فاعلٍ مختارٍ ممن جلَّتْ رتبتُهُ كالمَلَك والبشر أو صغرتْ جثته كالبق والبعوض أو انحطَّتْ رتبته كالكلب والخنزير فهو خالقٌ لأفعاله فِى قولهم، ولِهذا المعنَى قال رسول الله ﷺ القدرية مجوس هذه الأمة اهـ رواه البيهقىُّ فِى كتاب القدر وغيرُهُ حيث أثبتوا لأنفسهم تخليقَ الأفعالِ الاختياريةِ دونَ اللهِ تعالى كما أثبتت المجوس قسمًا من أفعالِ العالم للنور وقسمًا للظلمة. والعجب من وقاحة المعتزلة أنهم يسمون أنفسهم أهل عدل وتوحيد وقد كفروا بعموم قوله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[1] وبعموم قوله فِى سُورة البقرة ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾.

وأما الجبرية فقد ذكر سيف الحق أبو المعين النسفىُّ أنها طائفة لم يبقَ لهم مناظر يحاجُّ عن نحلتهم ولا تدعو الحاجة إلى الاستعداد لمناظرتهم.

(١) سورة الرعد/ءاية (١٦).

قال رحمه الله (**ولم يُكلِّفْهُمُ الله تعالى إلا ما يُطِيقون ولا يُطَيَّقُونَ إلا ما كلَّفهم**).

(**الشرحُ**) أنَّ الجملةَ الأُولى معناها ظاهرٌ وأما الجملة الثانية فمعناها لا يُلْزَمُونَ أى ليس للعباد أن يلزموهم إلا ما كلفهم الله به، فيُطِيقون فِى الجملة الأولى بضم الياء وكسر الطاء وأما الثانية فيتعين قراءتها بضم الياء وفتح الطاء وتشديد الياء التِى بعدها، ولا يصحُّ معنى هذه الجملة الثانية إلا على هذا الوجه لأنه إذا قُرِئَ (ولا يُطِيقون) بكسرِ الطاءِ (إلا ما كلفهم) لا يصحُّ المعنَى لأَنَّهُ ينحلُّ على ذلك إلى أن العباد لا يستطيعون أن يفعلوا سوى ما كلفهم الله به والواقع أنَّ العباد قادرون على أن يخالفوا ما كلفهم الله به وذلك حالُ أكثرِ البشرِ. وهذا التحقيق مما فتح الله به علَى شيخِنا الشارحِ ولم أرَ شارحًا قبلَهُ عرَّجَ عليه ولله الحمد.

قال رحمه الله (**وهوَ تفسيرُ لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله نقول لا حيلةَ لأحدٍ ولا حركةَ لأحدٍ ولا تحوُّلَ لأحدٍ عن معصيةِ الله إلا بمعونةِ الله ولا قوة لأحدٍ على إقامةِ طاعةِ الله والثباتِ عليها إلا بتوفيق الله**).

(**الشرحُ**) أنَّ هذه الكلمةَ الشريفةَ صحَّ تفسيرُها عن رسولِ اللهِ ﷺ فيما رواه البزار وأبو يعلى وغيرهما عنه قال لا حولَ عن معصيةِ الله إلَّا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله اهـ

وهذا حقيقةُ العبودية أن يكون العبد مفتقرًا إلى الله فِى

العصمة عن المعاصِى والتوفيقِ للطاعات فلذلك سَمَّى رسولُ الله فِى الخبر الصحيح هذه الكلمةَ كنزًا من كنوز الجنة فإنه قال لأبى موسى الأشعرِىّ ألا أدلُّكَ على كلمة هِىَ كنز مِن كنوز الجنة فقال بلى يا رسول الله فقال لا حول ولا قوة إلا بالله اهـ وأجمعت الأمة على كونها من أصول العقائد وهِىَ كقوله تعالى فِى سورة التَّكوير ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ أىْ أنَّ العبادَ لا تكون لهم مشيئة إلا أن يشاء الله أن يشاءوا فما شاء الله فى الأزل أن يشاءه العباد تحصل مشيئتهم له وإلا فلا تحصلُ، وكقوله فِى سورة الأنعام ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1] أىْ أنَّ اللهَ تعالى لو نزَّلَ إلى الكُفَّارِ الملائكةَ فكلَّمُوهم وأخرج الموتى من قبورهم فكلموهم وحشر عليهم كلَّ شَىْءٍ قُبُلًا أىْ عِيانًا ما كانوا ليُؤمنوا إلا أن يشاء الله أن يؤمنوا، وكقولِهِ فِى سورة البقرة ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾.

قال رحمه الله (**وكلُّ شَىْءٍ يَجرِى بمشيئةِ الله تعالى وعلمِهِ وقضائِهِ وقدرِه**).

(**الشرحُ**) أنَّ أفعال العباد وكلَّ ما يدخل فِى الوجود من أعيان الأشياء وأعراضها كحركة العبد وسكونه وإدراكه وخواطره ونياته

(١) سورة الأنعام/ءاية (١١١).

مِن خير وشر وإيمان وطاعة وكفر ومعصية كلَّ ذلك يحصل بمشيئة الله الأزلية وعلم الله الأزليّ وقَدَرِ الله الأزليّ وقضاءِ الله الأزليّ. ومعنَى المشيئة التخصيص أىْ تخصيصُ اللهِ تعالى الممكنَ العقلِيَّ أىْ ما يجوز عليه الوجودُ والعدمُ كَكُلِّ ما فِى هذا العالَم بالوجودِ بعد العدمِ وبالعدمِ بعد الوجودِ وبحالٍ دون حالٍ، وأمَّا القدرُ فهو التقديرُ أىِ التدبيرُ والقضاءُ هو التخليقُ.

قال رحمه الله (**غلبتْ مشيئتُهُ المشيئاتِ كُلَّها وغلبَ قضاؤُهُ الحِيَل كلَّها**).

(**الشرحُ**) غلبتْ مشيئةُ اللهِ مشيئاتِ العبادِ لأن مشيئةَ الله أزلية لا ابتداء لَهَا أما مشيئة العباد فحادثة محتاجةٌ إلى اللهِ تعالى لتوجَدَ واللهُ تعالى يُوجِدُ الحوادثَ بعلمِهِ ومشيئتِهِ وقدرتِهِ وتخليقِهِ فلا توجَدُ مشيئةُ العبدِ إلَّا على وفقِ مشيئةِ الله تعالى فلا بُدَّ أن تكونَ تحتها وأن تكونَ مغلوبةً لها، ولذلك غلبَ قضاؤه الحِيَلَ كُلَّها فلا تَرُدُّ حِيَلُ العبادِ ما قَضَاهُ اللهُ تعالى لأنَّ حِيَلَهُم حادثةٌ لا تحصُلُ ولا توجَدُ إلَّا بقضاءِ اللهِ السابقِ. والحِيَلُ جمعُ حِيلَةٍ وهِىَ الحِذْقُ فِى تدبير الأُمور وجَوْدَةُ النَّظَرِ والقُدْرةُ على دِقَّةِ التَّصرُّفِ.

قال رحمه الله (**يفعلُ ما يشاءُ وهوَ غيرُ ظالم أبدًا، تقدَّسَ عن كل سُوءٍ وحَيْنٍ وتنزَّهَ عن كلِّ عَيبٍ وشَيْنٍ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾**).

(**الشرحُ**) أنَّ قولَهُ تعالى فِى سورة الأنبياء ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ

وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ موافقٌ لِمَا سبقَ بيانُهُ مِنْ أنَّ اللهَ تعالى متصرِّفٌ فِى مِلكِهِ مِن غيرِ أنْ يكونَ له ءَامِرٌ ولا ناهٍ ويدلُّ على ذلك أيضًا قوله تعالى فِى سُورةِ البروجِ ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ وقولُهُ تعالى فِى سورةِ يُـــونُـــسَ ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ﴾[1] فبطَلَ مُعْتَقَدُ المعتزلة أنَّ الله شاء لكلِّ كافر الإيمان وشاء الكافر من نفسه الكفر فكان ما شاء الكافر ولم يكن ما شاء اللهُ أىْ فَنَفَذَتْ مشيئةُ الكافر ولم تنفُذْ مشيئة الله وأىُّ تعجيزٍ يكون أبلغ مِن هذا.

قال الحسين بن عليّ بنِ أبِى طالبٍ رَضِىَ اللهُ عنهما ورُوِىَ أيضًا عن غيرِهِ مِنَ السّلَفِ إن القدريةَ لم يوافقْ قولُهُم قَوْلَ الملائكة ولا قولَ إبليس لأنَّ الملائكة قالوا ما أخبرَ اللهُ عنهم فِى سُورةِ البقرةِ ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ﴾[2] معناه أنت تخلق فينا الإدراكات لسنا نحن نخلقُهَا وقال إبليس ما أخبرَ اللهُ عنه فِى سورةِ الأعرافِ ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِى﴾[3] فنسب إغواءه إلى مشيئة الله وتخليقه معناه أنت شئتَ أنْ أكونَ غاويًا وأنت خلقتَ فِىَّ الغَواية فلم يُكَذِّبْهُ اللهُ فِى ذلك ولو كان كاذبًا فِيهِ لدلَّ سياق القرءان على تكذيبه. رواه البيهقِىُّ فِى القدر.

وقوله (تقدَّس) أى تنزه (عن كل سوء وحين) أى عن كل ظُلْم (وتنزه عن كل عيب وشين) أى عن كل نقص.

---

(١) سورة يونس/ءاية (١٠٧).
(٢) سورة البقرة/ءاية (٣٢).
(٣) سورة الأعراف/ءاية (١٦).

قال رحمه الله (**وفِى دعاء الأحياءِ وصدقاتِهِم منفعةٌ للأمواتِ واللهُ تعالى يَستجيبُ الدعواتِ ويقضِى الحاجاتِ ويملكُ كلَّ شَىْءٍ ولا يملكهُ شَىْءٌ**).

(**الشرحُ**) أنَّ أهل السنة اتَّفَقُوا على أنَّ الأمواتَ يَنتفعون بدعاء المسلمين واستغفارِهِم لَهُمْ وعلى أنَّ قراءة القرءان على القبر تنفع المَيّتَ واستُدِلَّ على ذلك بحديثِ العَسِيب الرَّطْبِ الذِى شَقَّهُ النبىُّ ﷺ اثنين ثم غرس على قبرٍ نِصفًا وعلى قبرٍ نِصفًا وقالَ لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا اهـ رواه الشيخانِ أىْ لعلَّهُ يُخَفَّفُ عنهما بتسبيحِهِما ما داما رطبَيْنِ كما فِى بعضِ الرواياتِ، وإذا خُفِّفَ عنِ الميّتِ بتسبيحِ الغصنِ فكيفَ بقراءة الرجل المؤمن القرءان. قال النووىُّ استحبَّ العلماءُ قراءةَ القُرْءَانِ عند القبر لِهذا الحديثِ لأنه إذا كانَ يُرْجَى التخفيفُ بتسبيح الجريدِ فتلاوة القرءان أولى واللهُ أعلم اهـ فإنَّ قراءَةَ القُرءَانِ مِن إنسانٍ أعظمُ وأنفعُ مِن تسبيحِ العود، وقد نفعَتْ قراءةُ القرءَانِ الأحياءَ فكذلك الأمواتُ.

وقالَ الخَلَّالُ فِى الجامعِ حدثنا أبو بكر المروزِىُّ سمعتُ أَحْمَدَ بنَ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ يقولُ إذا دَخَلْتُمُ المَقَابِرَ فاقرأُوا بفاتحةِ الكتابِ والمُعَوِّذَتَيْنِ وقلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ واجْعَلُوا ذلكَ لأهلِ المَقَابِرِ فَإِنَّهُ يصلُ إليهم اهـ

وروَى أيضًا عنِ الزَّعْفَرَانِىِّ قَالَ سَأَلْتُ الشَّافِعِىَّ رَضِىَ اللهُ عنه عنِ القراءةِ عندَ القَبْرِ فقالَ لا بأسَ بِهِ اهـ

وأخرجَ فِى الجامع أيضًا عن الشَّعْبِىِّ قال كانت الأنصار إذا

مات لهم ميتٌ اختلفوا إلى قبره يَقْرَءُونَ له القُرْءَانَ اهـ

وقد ذكرَ هذه الآثارَ الحافظُ ابن حجرٍ واحتجَّ بها فيما أجابَ به عن بعضِ الأسئلةِ الواردةِ إليه ونقلها القسطلانِىُّ مِن خطِّهِ.

وما شُهر من خلاف الشافعى من قولِهِ إنَّ القراءة لا تصل إلى الميت فهو محمولٌ على غير ما إذا كانت قراءةُ القارِئِ لنفسِهِ ثم دعَا بوصولِ ثوابِ قراءتِهِ إلى الميّتِ وبغيرِ ما إذا كانت القراءة عند القبر فإنَّ الشافعىَّ لم يَرَ بها بأسًا كما تقدَّمَ، فليس فِى العقلِ ولا فِى الشرعِ ما يمنعُ انتفاعَ الميّتِ بقراءةِ الحَىّ فإنَّ اللهَ تعالى يملِكُ كُلَّ شَىْءٍ ولا يَجْرِى فِى مِلكِهِ إلَّا ما يشاءُ وقد حثَّنَا على الدعاءِ فِى القرءَانِ وحثنا عليه الرسولُ الكريمُ عليه الصلاة والسلامُ فِى الحديثِ وهو تعالى قادرٌ على تحقيقِ الحاجاتِ وإعطاءِ الدَّاعِى سُؤْلَهُ لا يمنعُهُ مُمَانعٌ ولا يُؤخِّرُهُ مُؤَخِّرٌ.

وذهبَ بعضُ أهل البدع إلى عدم وصول شَىْءٍ ألبتة لا الدعاءِ ولا غيرِهِ وقولُهُمْ مردودٌ بالكتاب والسنة والإجماع، واحتجاجُهُم بقوله تعالى فِى سورة النجم ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ مدفوعٌ بأنه لم يَنْفِ انتفاعَ الرجلِ بِسَعْيِ غيرِهِ فإنَّ الصَّدقةَ والحجَّ عن الميّتِ ينفعانِهِ بالنَّصِّ وإنما نَفَى أن يَملك غيرَ سَعْيِهِ.

قال رحمه الله (**ولا غِنًى عنِ الله تعالى طَرْفَةَ عَينٍ ومن [زعمَ أنه] استغنى عن الله طرفةَ عين فقد كفر وصارَ من أهل الحَينِ**).

(**الشرحُ**) أنَّ هذا تقدَّمَ بيانُهُ فِى شرحِ لا حول ولا قوةَ إلَّا باللهِ ولكنه أعادَهُ هنا للتأكيدِ وللنَّصِّ على تكفيرِ مَنِ اعتقدَ أنه

يستغْنِى عن اللهِ تعالى طَرْفَةَ عينٍ وفِى هذا تكفيرٌ للمعتزلةِ فإنهم زعمُوا الاستغناءَ عن اللهِ عزَّ وجلَّ فِى كلِّ ما أعطاهمْ على زعمِهِم القدرةَ عليه.

وقوله رحمه الله (وصار من أهل الحَيْن) معناه صار مِن الهالكين المُعَذَّبِين على التأبيدِ فِى الآخرة. والحَيْنُ الهلاكُ.

قال رحمه الله (**واللهُ يغضبُ ويرضَى لا كأحدٍ من الوَرَى**).

(**الشرحُ**) أنَّ مِن صفاتِ اللهِ تبارك وتعالى الرِّضَا والغضبُ وهما صفتان أزليتان كعلمه وقدرته ومشيئته وسائر صفاته، ليس غضبه ورضاه كما يغضب المخلوق ويَرْضَى فإنَّ غَضَبَ المخلوقِ مخلوقٌ لأن الصفة تتبع الذاتَ، فنحن ذواتُنا حادثةٌ فصفاتُنا حادثةٌ كذلك غضبُنا حادثٌ وكذلك رضانا حادثٌ وكل منهما تَأَثُّرٌ وأما اللهُ فليس كذلك بل غضبه صفة أزلية ورضاه صفةٌ أزليةٌ. هذا مذهبُ الماتريديةِ وأمَّا الأشاعرةُ فإنَّ الغضبَ عندهم معناهُ مشيئةُ العقابِ والرِّضَا معناهُ مشيئةُ الثوابِ فيرجعانِ إلى صفةِ المشيئة.

وما وردَ فِى حديث البخاريِّ إن اللّه غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله فالمراد بذلك ءَاثَارُ الغضبِ وليس المرادُ الصفةَ أى أن اللّه تعالى أعد فى ذلك اليوم مِن ءَاثَارِ الغضب ما لم يوجد قبلَهُ مثلُهُ ولا يكون بعده ما هو أشدُّ منه فالغضبُ فى هذا الحديث يراد منه ما يرادُ به فى حديث مسلمٍ (ومن جميع سُخْطك وغضبك) وما يُراد به فى حديث السننٍ (وبمعافاتك من غضبك) وفى حديث الدارقطنى

فى الأفراد (أعوذ بعفوك من غضبك) فإن المراد بالغضب فى كل ذلك الأثر لا الصفة.

قال رحمه الله (**ونحبُّ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ، ولا نُفْرِطُ فِى حُبِّ أحدٍ منهم ولا نتبرأُ مِن أحدٍ منهم، ونُبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخيرٍ، وحُبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهُمْ كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ**).

(**الشرحُ**) أنه يجبُ محبةُ أصحابِ رسولِ اللهِ مِن غيرِ أنْ نُفْرِطَ أىْ نَغْلُوَ فِى حُبِّ أحدٍ منهم فلا نرفعُهُم فوقَ مرتبتِهِمْ ولا نُفَضِّلُ أحدًا منهم على الأنبياءِ ولا نعتقِدُ فيهمُ العصمةَ التِى فِى الأنبياءِ ومِنْ غيرِ أنْ نَتَبَرَّأَ مِن أحدٍ منهم فنُكَفِّرَهُ أو نَنْفِىَ عنه الصُّحبَةَ الثابتَةَ له أو المَنْقَبَةَ الثابتةَ له بل نُنْزِلُ كلًّا منهم منزلته من غير إفراط ولا تفريط على وفق ما رواه الإمامُ أحمدُ وغيرُهُ عَنْ عَلِىِّ بنِ أبِى طالبٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ لِى النَّبِىُّ ﷺ فِيكَ مَثَلٌ مِنْ عِيسَى أَبْغَضَتْهُ اليَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ وَأَحَبَّتْهُ النَّصَارَى حَتَّى أَنْزَلُوهُ بِالمَنْزِلَةِ الَّتِى لَيْسَ بِهِ ثُمَّ قَالَ أىْ عَلِىٌّ يَهْلِكُ فِىَّ رَجُلانِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يُقَرِّظُنِى بِمَا لَيْسَ فِىَّ وَمُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَنَآنِى عَلَى أَنْ يَبْهَتَنِى اهـ

وقد أمرَ الدِّينُ بمحبةِ الصحابةِ مِن حيثُ الجملةُ ولِكُلٍّ منهم مزيةٌ مِن حيثُ نُصرتُهُ للنَّبِىِّ ﷺ وإيمانُهُ به فمَنْ أبغضَهم جملةً أو سبَّهم جملةً فهو مبغِضٌ للنَّبِىِّ ﷺ محقِّرٌ لشأنِهِ مكذِّبٌ للشرعِ وهو بذلك خارجٌ عن الدين، كيفَ لا وقد قال تعالى فِى سُورة الفتح ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[١]. وأمَّا مَن سبَّ واحدًا منهم أو

(١) سورة الفتح/ءاية (٢٩).

بعضهم بما ليس فيه تكذيبٌ للشرعِ فلا يُكَفَّرُ كيفَ وقدْ سُبَّ أبو بكرٍ فِى وجهِهِ فأرادَ أبو بَرْزَةَ أنْ يَقتُلَ السَّابَّ فمنعَهُ أبو بكر رَضِىَ اللهُ عنه وقال هذا لا يكونُ إلَّا لرسول الله اهـ وقد شُتِمَ عثمانُ وشُتِمَ علِىٌّ ولم يُكَفِّرا مَن شتَمَهُما وهو أشهرُ مِن أنْ يُحتاجَ إلى بيانِ إسنادِهِ.

وقولُهُ رحمه اللهُ (ولا نذكرهم إلا بخيرٍ) أىْ مِن حيثُ الإجمالُ لا نذكرهم إلا بخيرٍ وأمَّا عند التفصيلِ والحاجةِ الشرعيةِ فنذكر الأفرادَ على حسب صفاتهم للمقصد الشرعِىّ فإنه ثبتَ مثلُ ذلك فِى الحديثِ الشريفِ فَفِى البخارِىّ مثلًا أنه ﷺ قال عن بعضِ مَن كان معه مِن الصحابة فِى الغزو إنه فِى النار لأنه غلَّ شَمْلَةً مِن الغنيمة وكذلك ثبتَ مثلُهُ فِى كلامِ بعضِهِم فِى بعضِهِم للحاجةِ. فما ورد عند التِّرْمِذِىّ وابن حِبَّانَ من أن الرسول ﷺ قال اللهَ اللهَ فِى أصحابِى لا تَتَّخذوهم غرضًا مِن بعدِى فمَنْ أحبَّهُمْ فَبِحُبِّى أحبَّهُمْ ومَن أبغضَهُمْ فَبِبُغْضِى أبغضَهُمْ اهـ فالمُرادُ بِهِ مِن حيث الإجمال ليس من حيث التفصيل فإنَّ بُغْضَ جميعِ الصحابة كفرٌ لأنه معانَدَةٌ لِثَنَاءِ اللهِ تعالى عليهم كما تقدَّمَ، ولا يُعطِى هذا الحديثُ أنْ لا يُذْكَرَ أىُّ فردٍ منهم إلا بخيرٍ بحيثُ يُتْرَكُ التحذيرُ الشرعىُّ بلْ ما أمرَ الشرعُ بِهِ مِن التحذيرِ لا بُدَّ منه فِى محلِّهِ ولذلك ضمَّنَ علماءُ الحديث كُتُبَهُمُ التِى ألَّفُوها لِتُرْوَى وتُشاعَ مثلَ حديثِ البخارِىّ الآنِفِ الذِّكْرِ وحديثِ لا أشبعَ اللهُ بطنَهُ وقولَ عبادةَ بنِ الصَّامتِ كذبَ أبو محمد أىْ جانبَ الصَّوابَ وغيرَ ذلك.

ثم الصحابةُ على مراتبَ قسم منهم بررةٌ أخيارٌ مُقَرَّبون وقسمٌ

منهم منزلتهم دون ذلك وقد قال النَّبِيُّ عليه الصلاة والسلام فِي بيانِ عُلُوِّ مقام الطبقة العليا منهم لا تَسُبُّوا أصحابِي فَوَالَّذِي نفسِي بيده لو أنفق أحدُكُم مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ اهـ رواه البخاريُّ فهذا الحديثُ إنما يُعْنَى به السابقون الأَوَّلُونَ مِنَ المهاجرين والأنصار كالعشرة المبشرين بالجنة وغيرهم وذلك أنَّ سببَ الحديثِ أنَّ خالد بن الوليد سبَّ عبدَ الرَّحمن بن عوف رَضِيَ الله عنهما فقال ﷺ لا تَسُبُّوا أصحابِي الحديثَ فالخطابُ فيه لقسمٍ مِن الصحابةِ أنهم لا يبلغونَ مرتبةَ السابقينَ الأَوَّلِينَ وأنَّ أجرَ المُدِّ أو نصفِ المُدِّ الذِي يتصدقُ به هؤلاءِ السَّابقونَ أكبرُ عند الله مِمَّا لو تصدق خالد بن الوليد وأمثالُهُ مِمَّن ليسوا من السابقين الأولين بمثلِ جبلِ أُحُدٍ ذهبًا، فَمَن ظنَّ أنَّ هذا الحديثَ عامٌّ فِي جميع أفراد الصحابة فهو جهلٌ منه بالحقيقة التِي أرادها رسول الله ﷺ.

قال رحمه الله (**ونُثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولًا لأبِي بكرٍ الصديق رَضِيَ الله عنه تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة**).

(**الشرحُ**) أنه يجب تفضيلُ أبِي بكرٍ رَضِيَ الله عنه على سائر أصحاب رسول الله وذلك لأن الصحابة أجمعوا على إمامته وبايعوه وإجماعُهُمْ كآيةٍ مِن كتاب الله حجةٌ موجبةٌ للعلم قطعًا، قال تعالى فِي سورة البقرة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(١) والوسط العدْلُ المَرْضِيُّ فلو لم تكن إمامتُهُ حقًّا لكانتْ منْكَرًا ولم يُتَصَوَّرْ منهمُ المطابقةُ على إثبات إمامته

(١) سورة البقرة/ ءاية (١٤٣).

ومبايعته، فمَنْ طعن فِى إمامته فقد طعن فِى إجماعهم وصيَّرَهُمْ مُبْطِلِينَ فيكونُ ذلك طعنًا فِى خبر الله تعالى لأن الله قال فِى سورة التوبة ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾(١) واللهُ عالمٌ بما كان وما يكون إلى ما لا نهاية له فلو كان فِى عِلْمِهِ أنهم ينقلبون خَبيثين خائبين مُحَرِّفِينَ لِدِينِ الله ما أخبر بأنه رَضِىَ عنهم لأنه لا يَخْفَى عليه شىْءٌ.

ثم إن من جملة الأدلة على صحة خلافة أبِى بكر أنَّ الرسول ﷺ رَضِيَهُ لِيَؤُمَّ أُمَّتَهُ فِى الصلاة فِى ءَاخِرِ حياتِهِ والصلاةُ أهمُّ أمورِ الدِّينِ بعد التوحيد والإيمان بالله ورسوله فَلَمَّا رَضِيَهُ الرَّسولُ ﷺ لِأَنْ يُصَلِّىَ بِهِمْ فِى مرضِ موتِهِ علمنا أنَّهُ أهلٌ لأنْ يتقدمَ غيرَهُ بالخلافة.

قال رحمه الله (**ثمَّ لعمرَ بنِ الخطاب رَضِىَ الله عنه، ثم لعثمانَ رَضِىَ الله عنه، ثم لِعَلِىٍّ بن أبِى طالبٍ رَضِىَ الله عنه، وهُمُ الخلفاءُ الراشدون والأئمة المُهتدون**).

(**الشرحُ**) أنه يجبُ الإيمانُ بحقيَّةِ خلافةِ الأربعة على حسب ترتيبهم فِى الخلافة لأنَّ الصحابة بما فيهم عَلِىٌّ رَضِىَ الله عنه رَضُوا بذلك. ولا نَعْنِى بهذا أنه لا خليفةَ راشدٌ فِى الأمة سوى الأربعة بل الحسنُ بن علىٍّ الذِى بايعه المسلمون خليفةٌ راشدٌ بنَصِّ حديثِ أحمدَ والترمذِىِّ وابنِ حِبَّانَ الخِلافةُ بعدِى ثلاثونَ سنةً ثم تكونُ ملكًا اهـ وقد تَمَّت الثلاثونَ بتنازُلِ

---

(١) سورة التوبة/ءاية (١٠٠).

الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عنه عن الخلافةِ. وكذلك عمر بن عبد العزيز خليفةٌ راشدٌ لكنهما أقلُّ مرتبةً مِنَ الأربعةِ.

قال رحمه الله (**وإنَّ العشرة الذينَ سمَّاهم رسولُ الله ﷺ وبشَّرَهم بالجنة نشهد لَهُم بالجنة على ما شهد لَهُم رسولُ الله ﷺ وقولُهُ الحقُّ وهم أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وطلحةُ والزبيرُ وسعدٌ وسعيدٌ وعبدُ الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمينُ هذه الأمة رضى الله عنهم أجمعين. ومَن أَحْسَنَ القَوْلَ فِى أصحابِ رسولِ الله ﷺ وأزواجِهِ الطاهراتِ مِن كلِّ دَنَسٍ وذُرِّيَّاتِهِ المُقَدَّسِينَ مِن كُلِّ رِجْسٍ فقد بَرِئَ من النفاق**).

(**الشرحُ**) أنَّهُ يجبُ محبةُ العشَرَةِ الذينَ بشَّرَهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ بالجنةِ فِى حديثٍ واحدٍ وهم أفضلُ صحابةِ الأنبياءِ على الإطلاقِ وكُلُّهُم مِنَ المهاجرينَ الأوَّلينَ، وهم الخلفاءُ الأربعةُ وطلحةُ بنُ عُبَيدِ اللهِ والزبيرُ بنُ العَوَّامِ وسعدُ بنُ أبِى وقَّاصٍ وسعيدُ بنُ زيدٍ وعبدُ الرحمٰن بن عوف وأبو عبيدةَ بن الجراح.

ويجبُ أيضًا تعظيمُ ومحبَّةُ أزواجِ النبيِّ ﷺ اللاَّتِى فُزْنَ بعِشْرَتِهِ كما تجبُ محبةُ الصحابة وأفضلُهُنَّ خديجةُ رَضِيَ اللهُ عنها بالنَّصِّ كما فِى صحيحِ مسلم وغيرِهِ وتُوُفِّيَتْ فِى مكةَ قبل الهجرة ثمَّ تليها فِى الفضلِ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عنها كما تَدُلُّ عليه أيضًا النُّصوصُ التِى فِى البخارِيِّ وغيرِهِ. وتُوُفِّيَ عليه الصلاةُ والسَّلامُ عن تسعٍ منهنَّ.

ومَنْ جَمَعَ بينَ حُسْنِ القولِ فِى أزواجِ النَّبِيِّ ﷺ الطاهراتِ

مِنَ الدَّنَس أى الشَّيْنِ وفِى أهلِ بيتِهِ المُقَدَّسِينَ أى المطَهَّرينَ مِن الرِّجسِ أيِ الشِّرْكِ رَضِىَ اللهُ عنهم فهُوَ على سَنَنِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ بعيدٌ عن نهجِ أهلِ الخلافِ والبِدعةِ عاملٌ بما تقدَّمَ مِنَ النُّصوصِ وبقوله تعالى فِى سورةِ الأحزابِ ﴿لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ وأهلُ البيتِ شاملٌ لنسائِهِ ﷺ فضلًا عن شمولِهِ لِعَلِيٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسين والعباس ونحوِهِم مِن أقاربِهِ كما يَدُلُّ على ذلك سياقُ الآياتِ. ولا يُتَوَهَّمْ أنَّ أهلَ البيتِ خاصٌّ بالذكور بدليلِ قولِهِ تعالى فِى سُورة هُودٍ إخبارًا عن خطاب الملائكةِ لسارةَ زوج سيدِنا إبراهيمَ ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾.

قال رحمه الله (**وعلماء السلف مِنَ السَّابقين ومَنْ بَعدهم مِنَ التابعينَ أهلُ الخير والأثر وأهلُ الفقه والنظر لا يُذكرون إلا بالجميل ومَن ذكرهم بِسُوءٍ فهو على غير السبيل**).

(**الشرحُ**) أنَّ تعظيمَ هؤلاءِ المذكورينَ وتوقيرهم مِن تعظيم الدين فَإِنَّهُمْ خلفاء الرسولِ ﷺ فِى تبليغ الشريعة إلى الناس فوجب توقيرهم وتعظيمهم واتِّباعُهُم، ولأنَّ الله تعالى نَدَبَنَا إلى الدعاء والاستغفار لهم بقوله فِى سورة الحشر ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[1] فَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فقد عدَلَ عن سبيل الموالاةِ الدينيةِ وذلك مِن علامات النِّفاقِ والخِذلان وذلك لأنَّهم

---

(١) سورة الحشر/ءاية (١٠).

بصلاحهم صَارُوا أحبابَ اللهِ وقد ثبتَ فيما رواهُ البخارِيُّ عن رسول الله ﷺ عن ربِّهِ أنه قال مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ ءَاذَنْتُهُ بِالحَرْبِ اهـ

قال رحمه الله (**ولا نُفَضِّلُ أحدًا مِنَ الأولياء على أحدٍ من الأنبياء عليهم السلام ونقول نبيٌّ واحدٌ أفضلُ مِنْ جميع الأولياء**).

(**الشرحُ**) أنَّ معنَى ما ذَكَرَهُ الطحاوىُّ ظاهرٌ لقول اللّه تعالى فى سورة الأنعام ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٦﴾ أى على العالمين فى كل الأزمان إذ لا دليل يوجب تخصيص العالمين بزمان دون زمان. وإنما فضل الله كل واحد من أولئك الأنبياء المذكورين بمرتبة النبوة فيشاركهم إذن فى ذلك الفضل من لم يذكر من الأنبياء لاشتراكهم فى تلك المرتبة. وقد قال الحافظُ فِى الفتحِ نقلًا عنِ القُرطبيِّ فالنبىُّ أفضلُ مِنَ الوَلِيِّ وهو أمرٌ مقطوعٌ به عقلًا ونقلًا والصائرُ إلى خلافِهِ كافرٌ لأَنَّهُ أمرٌ معلومٌ مِن الشَّرع بالضرورة اهـ

قال رحمه الله (**ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصحَّ عن الثقاتِ من رواياتهم**).

(**الشرحُ**) أنه يجب الإيمان بكرامات الأولياء وهم المؤمنون المستقيمون بطاعة الله، قال تعالى فِى سُورة فُصِّلَتْ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ ثم

الكرامة هِىَ أمرٌ خارقٌ للعادة تظهر على يد المؤمن المستقيم بطاعة الله وبذلك تفترقُ عن السحر والشعوذة، وتفترق عن المعجزة بأنَّ المعجزة تكون لإثبات النبوة وأما الكرامة فتكون للدلالة على صدق اتباعِ صاحبِها لِنَبِيِّ زمانِهِ.

والدليل مِنَ النَّقْلِ على وقوعِ الكرامة ما جاء فى القرءان من قوله تعالى فِى سورة النملِ ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾[1] وما ثبت بالإسناد الصحيح أنَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه نادى أمير الجيش الذى كان بنهاوند ساريةَ بنَ زُنَيْم يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ فسمع سارية وكان عمر بالمدينة يخطُب اهـ أخرجها الحافظ العسقلانىُّ وحسَّنَها وأفردها الحافظ الدِّمْيَاطىُّ بتأليف وصحَّحَها، وأخرج ابن أبِى شَيْبَةَ وغيرُهُ أن خالدَ بنَ الوليد لما نزل الحِيرة قيل له احْذَر السُّمَّ تَسْقِيكَهُ الأعاجمُ فقال ائتُوا به فأتَوْهُ به فأخذه بيده ثم قال بسم الله واقتحمه فلم يضرَّهُ اهـ

قال رحمه الله (**ونؤمنُ بأشراطِ الساعةِ مِن خروج الدجَّالِ، ونزولِ عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمنُ بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها**).

(**الشرحُ**) أنَّ الأشراطَ جمعُ شَرَطٍ بفتح الراءِ بمعنَى العلامة. وأولُ هذه الأشراط على ظاهر ما ورد فِى صحيح مسلم خروجُ الدجال، وهو حَىٌّ منذ زمان رسول الله ﷺ إلى أن يخرج من

(١) سورة النمل/ءاية (٤٠).

الجزيرة التِي هو محبوسٌ فيها، ثم ينزلُ سيدُنا عيسى عليه السلامُ فيقتلُ الدجالَ ثم يُخرج الله يأجوج ومأجوج فِي حياة سيدنا عيسى.

وهذه أخبارٌ سمعيَّةٌ اشتهرَ نقلُهَا اشتهارًا يُوجب العلم بها فيجب الإيمان بها والإيقان أنها لا بد أن تتحقق فى الوقت الذِى شاء الله. ولا يُشترط لوجوب الإيمان بهذه الأخبار ونحوها التواتر المصطلح عليه فِي الأصول بل يَكْفِي الاشتهارُ على ما عليه جمهورُ الحنفيةِ أيِ الماتريديةُ فقد صرَّحَ الكمالُ ابنُ الهُمام فِي كتابه فِي الأصول بالاكتفاء بالمشهور وقد احتج أبو حنيفة فِي بعض مؤلفاته فِي العقيدة بأحاديثَ مشهورةٍ لا تبلغ حدَّ التواتُرِ وهِيَ نحوُ أربعين حديثًا جمعها كمال الدين البياضيُّ.

ويَكفِي عند سائر علماء الحديثِ والأصُولِ وُرُودُ ذلك بإسنادٍ غيرِ مختلفٍ فيه.

ومن أشراط الساعةِ الكُبْرَى أيضًا خروجُ دابَّةِ الأرضِ فتضعُ للمؤمن علامةً على جبهته وللكافر علامةً على أنفه، ولم يَرِدْ فِي تعيين موضع خروجها حديثٌ صحيحٌ.

ومِن الأشراطِ الكبرَى التِي لم يَذكُرها الطحاويُّ رحمه الله دخانٌ يعُمُّ الأرضَ يَنالُ الكافرَ منه ضِيقٌ شديدٌ، وثلاثةُ خُسُوفٍ خَسْفٌ فِي المشرق وخَسْفٌ فِي المَغرب وخَسْفٌ فِي جزيرةِ العرب، ونارٌ تخرجُ مِن قعرِ عَدَن تسُوقُ الناسَ إلى المغرِبِ، وطُلوعُ الشمسِ مِن مَغرِبِها ويكونُ ذلك فِي اليومِ نفسِهِ الذِى تخرُجُ فيه الدابَّةُ ولا يُقبَلُ بعد ذلك تَوْبَةٌ.

قال رحمه الله (**ولا نُصدِّقُ كاهنًا ولا عرَّافًا ولا مَن يَدَّعِى شيئًا يخالفُ الكتابَ والسنةَ وإجماعَ الأمةِ**).

(**الشرحُ**) ذَكَرَ الطحاويُّ رحمه الله هنا بعضَ ما يجبُ ردُّهُ وهو تصديقُ الكاهن والعرَّاف ومَن يَدَّعِى شيئًا على خلاف القرءان والسنة وإجماع المسلمين، فالكاهنُ هو الذِى يَتعاطى الإخبارَ عن الكائنات فِى المستقبل اعتمادًا على النظر فِى النجوم وعلى أسبابٍ ومقدِّماتٍ يَستدلون بها أو غيرِ ذلك كالذين لهم أصحابٌ مِن الجن يأتونهم بالأخبار وأما العرَّاف فهو الذى يخبر عن المسروقات ونحوها فلا يجوز تصديقُ الكاهنِ ولا العرَّافِ، والأصلُ فِى ردِّ خبرِهما أحاديثُ منها حديثُ مسلم مَن أتَى عرَّافًا فسأله عن شىْءٍ لم تُقبل له صلاةٌ أربعينَ ليلةً اهـ وحديثُ الحاكم فِى المُسْتَدْرَكِ مَن أتَى كاهنًا أو عرَّافًا فصدَّقَهُ بما يقولُ فقد كفر بِمَا أُنْزِلَ على محمدٍ اهـ أىْ إن اعتقد أنه يَطَّلِعُ على الغيب. ومِمَّنْ يَدخل فِى ذلك مَن يعتمد فِى إخباره على الضربِ بالمَنْدَلِ والنَّظر فِى فِنْجان قهوة البن أو كتابِ أبِى مَعْشَرٍ الفلكيِّ الذِى يَدَّعِى أنَّ البشرَ كُلَّهُمْ أحوالُهُم مرتبطةٌ بالبروج الاثْنَىْ عَشَرَ وأنَّ كل مولود يرجع أمره إلى أحد هذه الأبراج. ومِنَ الكُهَّانِ مَنْ يُسَمِّيهِم الناسُ الرُّوحانِيِّينَ يقولون فلان روحانِىٌّ ويعتمدون على كلامه ظنًّا منهم أنَّ له اتصالًا بالملائكة وإنما هو مُعْتَمِدٌ على فُسَّاقِ الجِنِّ مِن كفارهم وغيرِهِم، ومنهم مَن يُمسك مقدارًا مِنَ المِسْبَحَةِ مِن غير عدٍّ ثم يَعُدُّ قائلًا افعلْ لا تفعلْ فإنِ انتهى إلى لفظِ افعَلْ يقولُ هذه الحاجةُ ناجحةٌ وإنِ انتهى إلى لا تفعل يقول إنها غير ناجحة،

وكُلُّ هذا حكمُهُ حكمُ الأزلام التِى حرَّمَ اللهُ الاستقسامَ بها فِى القرءان بقوله فِى سورة المائدة ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ إلى قوله ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾(١) قَالَ الأزهرىُّ الأزلامُ كَانَت سهامًا فِى الجاهِليَّة مَكْتوب على أحدها (أمرَنِى رَبِّى) وعلى الآخر (نَهَانِى رَبِّى) والثالث ليس عليه كتابة وَقد سُوِّيَتْ وزُلِّمَت أىْ جُعِلَتْ قِدْحًا لا ريشَ عليه ووُضِعَتْ فِى الكَعْبة فَإذا أَرَادَ رَجلٌ نحوَ سَفَرٍ أَو نِكاحٍ أَتَى السَّادِنَ وَقَالَ أَخْرِجْ لِى زَلَمًا فَيَخلطُ الأقداحَ ويُخرِجُ أَحدَها ويَنظُرُ إليه فإذا خرجَ قِدْحُ الأَمْرِ مَضَى على ما عزم عليه وإن خرج قِدْحُ النَّهْىِ قعد عمَّا أراده وإنْ خرجَ الذِى ليس عليه كتابةٌ أعادَ السَّادِنُ الخلطَ والإخراج. وَرُبمَا حملَ الرجلُ معه فِى السَّفَرِ زَلَمانِ وَضَعَهما فِى قِرابِهِ فَإذا أَرَادَ الاستِقْسَامَ أَخْرَجَ أحدَهُمَا.

وقول المؤلف (ولا مَن يَدَّعِى شيئًا يُخالف الكتابَ والسُّنَّةَ وإجماعَ الأمةِ) يعنى بِهِ بطلانَ كلِّ ما خالف الكتاب والسنة والإجماع مِن العقائد والأعمال البدنية. ومعنى إجماع الأمة اتفاقُ المجتهدين مِن أمة محمد وهم الَّذِين يُحمل عليهم حديثُ إذا اجتهد الحاكم فأصابَ فله أجران وإذا اجتهدَ فأخطأ فله أجر واحد اهـ فَمَنْ كان على تلك الصفة فهو الذِى يدخل تحت هذا الحديث وأما مُطْلَقُ العلماء فلا يصح حمل الحديث عليهم كما يَظن كثيرٌ من أهل هذا العصر، فلا يصح دعوَى الاجتهادِ الممدوحِ لابن تيمية كما ادَّعاه لَهُ بعضُ الناس مع أنه خرق الإجماع فِى مسائل كثيرة كما قال الحافظ أبو زرعة العراقى فِى كتابه الأجوبة المرضية.

---

(١) سورة المائدة/ ءاية (٣).

وكذلك تمرُّدُ معاويةَ على سيدِنا عَلِيٍّ ليس مبنيًّا على اجتهاد شرعيٍّ أيْ مقبولٍ بدليل قولِ علِيٍّ رَضِيَ الله عنه إنَّ بَنِى أُمية يُقاتلونَنِى يَزعُمُونَ أنَّنِى قَتَلْتُ عثمانَ وكذبوا وإنما يريدون المُلْكَ اهـ رواه مسدَّدٌ فِى مسنده.

وقد نقل الفقيه المتكلم ابنُ فُورَكَ فِى مُجَرَّدِهِ الذِى جمعه لبيان مقالات الأشعرِيّ أبِى الحسن الأشعرِيّ قولَهُ فِى أمر المخالفين لعلىِّ بن أبى طالب رضى الله عنه (وكان أى الأشعرىُّ يقول فِى أمر الخارجين عليه والمنكرين لإمامته إنهم كلهم كانوا على الخطإ فيما فعلوا ولم يكن لهم أن يفعلوا ما فعلوا من إنكار إمامته والخروج عليه. وكان يقول فأما طلحة والزبير فإنهما خرجا عليه وكانا فِى ذلك متأولين مجتهدين وإن ذلك كان منهما خطأً وإنهما رجعا عن ذلك وندما وأظهرا التوبة وماتا تائبين مِمَّا عَمِلا. وكذلك كان يقول فِى حرب معاوية وإنَّ ذلك كان خطأً وباطلًا ومنكرًا وبغيًا على معنَى أنه خروج عن إمامٍ عادلٍ، فأما خطأُ طلحةَ والزبير فكان يقول إنه وقع مغفورًا للخبر الثابتِ عن النبيِّ أنه حكم لهما بالجنة فيما رُوِىَ فى خبر بشارة عشرةٍ من أصحابه بالجنة فذكر فيهم طلحة والزبير وأما خطأُ مَن لم يبشرْهُ رسول الله ﷺ بالجنة فِى أمره فإنه مُجَوَّزٌ غفرانُهُ والعفْوُ عنه) اهـ

وهذا نصٌّ صريحٌ مِن شيخ أهل السنة أبى الحسن الأشعرى بأن كل مقاتِلِى عَلِيٍّ عليه السَّلامُ عصَوْا، وأن طلحة والزبير وعائشة رَضِيَ اللهُ عنهم تابوا من ذلك جزمًا، وأما الآخرون فهم تحت المشيئة يجوز أن يغفر الله لمن شاء منهم.

فبعد هذا لا يسوغ لأشعريٍّ أن يخالفَ كلامَ الإمامِ فيقول إن معاوية وجيشَهُ غيرُ ءاثِمِين مع الاعترافِ بأنَّهُمْ بُغاةٌ، ولا يسُوغُ القولُ بأنهم مجتهدونَ اجتهادًا مقبولًا لأنَّه لا يصِحُّ القولُ بالاجتهاد لاستخراج حكمٍ باسم الشرع مع نصٍّ قرءَانِيٍّ أو نصٍّ حديثِيٍّ ثابتٍ، فَمَنِ اجتهدَ مع النصِّ الصريح الذِى لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا فقال بخلافه فقوله مردودٌ لا يجوز لأحدٍ اتباعه فِى ذلك كما قال الإمام أبو بكر بن المنذر إذا جاء الخبر ارتفع النظر اهـ

وإذا كانَ ذلك مردودًا ولو مِنَ المجتهدِ فكيف إذا صدر مثلُ ذلك مِمَّنْ ليس لهم نصيبٌ مِن علم الدين وإنما يشتغلون بمنشورات طائفتهم كحزب التحرير فإنهم أَحَلُّوا المَشْىَ بقصد الزِّنَى بامرأة أو الفجور بغلامٍ قالوا لا معصيةَ فِى المَشْىِ بهذا القصد وإنما المعصيةُ فِى التنفيذ بفعل الغاية المطلوبة مِنَ المَشْىِ اهـ قال الشارحُ وقد ناظرتُ بعض كبارهم فِى هذه المسألة فقال هذا اجتهادٌ مِنَّا فقلتُ له تجتهدون مع النص وقد قال رسول الله فِى الحديثِ المشهورِ الرِّجْلُ تَزْنِى وزِناها الخُطَا اهـ رواه مسلمٌ فانقطع لكنه لم يرجع. وهذا مثلُ قَوْلِهِمْ بجواز مصافحة الرجل المرأة الأجنبية بلا حائلٍ فهذا أيضًا اجتهادٌ على خلاف النص فقد رَوَى مسلمٌ أنه عليه الصلاة والسلام قال العينُ تَزْنِى واليدُ تزنِى قال فَزِنَى العَيْنِ النظرُ وزِنَى اليدِ البطشُ اهـ والبطشُ هنا الإمساك باليد قال الفيوميُّ فِى المصباح (بطشت اليد إذا عملت) اهـ فالمراد بالبطشِ الواردِ فِى حديثِ وزنى اليد البطش هو الإمساك باليد بمصافحة أو غمز لشَىْءٍ مِن بدنها للتلذذ

والاستمتاع بها فلو لم يرد نصٌّ شرعيٌّ إلا هذا لكفى فلا جواب لهم عن هذا الحديثِ. وكانوا حرَّفُوا أيضًا حديثَ الطبرانِيِّ الثابتِ الذِى أخرجه فِى الأوسط من حديث معقل بن يسار عنِ النبِيِّ ﷺ أنه قال لَأَنْ يُطْعَنَ أحدُكُم فِى رأسِهِ بِمِخْيَطٍ مِن حديدٍ خيرٌ له من أن يمس امرأة لا تَحِلُّ له اهـ فادَّعَوْا أَنَّ المَسَّ معناه الجماع، ويَرِدُ عليهم بأَنَّ المَسَّ معناه الحقيقىُّ ما سوى الجماع وأما إطلاق المَسِّ على الجماع فمجازٌ كما نصَّ خاتمةُ اللُّغَوِيِّينَ مُرْتَضَى الزَّبيدىُّ فِى شرحِ القاموسِ على أنه استعارةٌ ولا يجوز العدولُ إلى المجازِ إلا بدليلٍ عقلِيٍّ قطعيٍّ أو دليلٍ نقلِيٍّ ثابتٍ كما قال الأصوليون من شافعيين وحنفيين وغيرهم، فلو كان مرادُ رسولِ اللهِ ﷺ فِى هذا الحديثِ الجماعَ وإخراجَ المسِّ باليدِ لم يقل عليه الصلاةُ والسَّلامُ فِى الحديثِ السَّابقِ والفرج يصدِّقُ ذلك أو يُكَذِّبُهُ اهـ فالمسئلةُ ظاهرةٌ ليس فيها خفاءٌ فلم يَبْقَ للتحريرية إلا المكابرةُ.

قال رحمه الله (**وَنَرَى الجماعةَ حقًّا وصوابًا والفُرقة زيغًا وعذابًا**).

(**الشرحُ**) أَنَّ مرادَهُ بالجماعة إجماعُ أهل الحق فِى مسئلة دينية فِى الاعتقاد أو الفروع، ويحتمل أن يكون مراده بالجماعة طاعة الإمام الذى بايعه المسلمون لأن الخروج على الإمام الذى صحت بيعته من الكبائر.

وعنى المؤلف بالفُرقة مخالفةَ الإجماع إما بالمعنى الأولِ وإما بالمعنى الثانِى والزيغُ هو المَيْلُ.

وقوله (وعذابًا) معناه أنَّ الخروج مِن الجماعة سببٌ للعذاب أىْ فِى الدنيا والآخرة لأنَّ هذه الفُرقةَ تُسَبِّبُ اضطراباتٍ وحروبًا كما سبَّبَتْ فُرقةُ معاويةَ عن طاعة أمير المؤمنين سفكَ دماءِ نحوِ عشرين ألفَ نفسٍ بأيدِى الفئة الباغية وكما سبَّبَتْ فُرقةُ الوهابيَّةِ منذُ مِائَتَىْ سنةٍ فتنًا وحروبًا وسفكَ دماءٍ ما زالتْ مستمرَّةً إلى أيامنا كما هو مشاهَدٌ.

ولْيُفْهَمْ أنَّ الفُرقةَ المذمومةَ هِىَ الاختلاف فيما جاء نصًّا فِى الكتاب أو السنة الثابتة وذلك هو الاختلافُ فِى أصول العقيدة وما عُلم من الدين بالضرورة من الأحكام فِى الفروع وأمَّا الاختلافُ فِى بعضِ الفروع بين الأئمةِ المجتهدينَ فليسَ معنيًّا بذلك.

قال رحمه الله (**ودينُ الله فِى الأرض والسماء واحدٌ وهو دينُ الإسلامِ، قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾**(١) **وقال تعالى ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾**(٢)).

(**الشرحُ**) أنَّ أهل السماء وهم الملائكةُ يَدِينون بالإسلام وأن المؤمنين مِن أهل الأرض من إنس وجن يَدينون بالإسلام وقال المؤلف استدلالًا على ذلك قال الله تعالى فِى سُورة ءَالِ عِمران ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ وقال تعالى فِى سُورة المائدة ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ فمعنى قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ أنَّ الدينَ الصحيحَ المقبولَ عند الله

---

(١) سورة ءال عمران/ ءاية (١٩).

(٢) سورة المائدة/ ءاية (٣).

هو الإسلامُ وما سواه مِنَ الأديان باطلٌ وفِى هذا دليلٌ على أنَّ أولَ البشرِ كانوا على الإسلام لم يكن لهم دينٌ غيرُهُ قال الله تعالى فِى سورة البقرة ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[1] قال ابن عباس كُلُّهُم على الإسلام اهـ رواه أبو يَعلى فِى مسنده وغيرُهُ.

قال رحمه الله (**وهوَ بيْنَ الغُلُوِّ والتقصير، وبينَ التشبيه والتعطيلِ، وبين الجَبرِ والقَدَر، وبين الأمنِ والإياسِ**).

(**الشرحُ**) أنَّ قوله (وهو بينَ الغلو والتقصير) يعنِى به أنَّ الخروج إلى أحد الطرفين وهما الغُلُوّ والتقصير خروجٌ عنِ الاستقامةِ، والغُلُوُّ هو المجاوزة عن الحد المجعول للعباد فِى الدين، والتقصيرُ نزولٌ عن الحد المجعول لهم، وكلُّ واحدٍ منهما مذمومٌ وباطلٌ لخروجهما عن العدل والحق.

وقول المؤلف (وبين التشبيه والتعطيل) يعنِى به أن الإسلام الذِى هو دين الله عز وجل هو إثباتُ الأسماء والصفات على ما جاءَتْ به الكتب والرُّسُلُ مِن غير تشبيهٍ كما فعلَتِ المُشَبِّهَةُ ولا تعطيلٍ كما فعلتِ المعتزلةُ.

وقول المؤلف (وبين الجَبر والقَدَر) معناه أنَّ الإسلامَ الذِى هو دينُ الله هو التسليمُ لله عز وجل ولِما جاء منه من غير جَبْرٍ بإسقاطِ فعلِ الاكتسابِ عنِ العبادِ ومِن غير إثبات قدرة تخليق الأفعال للعباد.

ومعنى قول المؤلف (وبين الأمن والإياس) أنَّ الإسلام الذِى هو دين الله هو أن يكون العبد بين الخوف والرجاء فهو حقيقةُ

(١) سورة البقرة/ ءاية (٢١٣).

العبودية إذ فِى الأمن عما أوعد ظنُّ العجز عن العقاب وفِى الإياس مِن رحمته ظنُّ العجز عن العفو، وهما يَنْقُلانِ عنِ المِلَّةِ فيصيرُ معتقِدُ أيٍّ مِن الأمنِ والإياسِ على هذا التفسيرِ لهما كافرًا، وهذا التفسيرُ هو تفسير الماتريدية للأمن والإياس وقد اشتهر عند الشافعية تفسيرُهُما بغير تفسير الماتريدية وعدُّوهما لذلك مِن كبائر الذنوب غيرِ المُثْبِتَةِ للرِّدَّةِ وقد تقدم.

قال رحمه الله (**فهذا دِينُنا واعتقادُنا ظاهرًا وباطنًا**).

(**الشرحُ**) أنَّه بَيَّنَ بذلك أنه لا بُدَّ مِن موافقةِ الظاهرِ الباطنَ إذِ المخالفةُ بين الظاهرِ والباطنِ مِن أوصاف المنافقين أيِ الكفارِ غيرِ المُعْلِنِينَ كُفْرَهُمْ. قال اللهُ تعالى فِى سُورةِ النِّسَاءِ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1] واتحادُ الظاهرِ والباطنِ فِى اعتقادِ الحقِّ دينُ الأنبياءِ والمؤمنينَ.

قال رحمه الله (**ونحن بُرَءَاءُ إلى الله من كل مَنْ خالفَ الذى ذكرناهُ وبيَّناه**).

(**الشرحُ**) ذلك لأنَّ ما ذكره من أصول التوحيد وسائر فصول العقائد قامت على حَقِّيَّتِها حججُ الكتابِ والسنة الواضحةِ وإجماعُ الأمة الهاديةِ وبراهينُ العقول المستقيمةِ التِى هِىَ شاهدةٌ للشرعِ وذلك مِمَّا اختصَّ به الإسلام من بين الأديان لأنه لم يأتِ بِشَىْءٍ إلَّا والعقلُ شاهدٌ له أمَّا سائرُ الأديانِ فَعَلَى خِلَافِ ذلك.

---

(١) سورة النساء/ءاية (١٤٥).

قال رحمه الله (**ونسأل الله تعالى أن يثبِّتَنا على الإيمان ويَخْتِمَ لنا به**).

(**الشرحُ**) أنَّ ما سألَهُ مِنَ الثَّبات على الدينِ وحُسْنِ الخِتامِ هو مِن أهم الأمور.

قال رحمه الله (**ويَعصمنا مِنَ الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهبِ الرَّدِيَّةِ مثلِ المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم مِنَ الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ونحن منهم بُرَءَاءُ وهم عندنا ضُلَّالٌ وأردياءُ. وبالله العِصمةُ والتوفيقُ**).

(**الشرحُ**) أنَّ الأهواء جمعُ هَوًى وهو الأمرُ الباطلُ الذِى تميل إليه النفوس.

وذكر المؤلف المشبهة والمعتزلة والجهمية والقدرية تأكيدًا لِمَا ذكره قبل هذا لأن التحذير من هذه المذاهب فرضٌ وقد مرّ تفسيرها إلَّا الجهمية فإنها طائفة منسوبةٌ إلى جهم بن صفوان وكان يقول إن الله هو هذا الهواءُ مع كل شَىْءٍ وعلى كل شَىْءٍ، وهذا قوله الذى أظهره أخيرًا. وكان يقول أيضًا بفناء الجنة والنار.

وقول المؤلف (وحالَفُوا الضلالة) أىْ لزموها.

وقد ختمَ المصنِّفُ عقيدتَهُ بالبراءةِ مِن أهلِ الزَّيْغِ والضلالِ كما تبرَّأَ عبدُ اللهِ بنُ عمر رَضِىَ اللهُ عنهما مِن القدريَّةِ لَمَّا أُخْبِرَ عنهم فقال أبلِغُوهُمْ أَنِّى بَرِىءٌ منهم وهم بُرَءَاءُ مِنِّى اهـ رواه مسلمٌ فِى الصحيح وغيره.

وكانَ قد شرحَ هذه العقيدةَ شارحٌ زائغٌ دَعَا فيها إلى الضلالة والكُفْرِ كتشبيهِ اللهِ بخلقِهِ واعتقاد أزلية العالم بنوعه موافقةً لابنِ تيميةَ وكأنه ظلُّهُ لا يخالفه فِى شىْءٍ مِن ضلالاته التِى مَقَتَتْهُ الأمةُ مِن أجلها وأمَّا شرحنا هذا فجاء بفضل الله خاليًا مِن كل ما يخالف الإجماع فِى الأصول والفروع. ولِلهِ المِنَّةُ وبِهِ التوفيقُ.

أعدتُ النَّظَرَ فِى هذا المختصرِ فِى سنةِ تسعٍ وثلاثين وأربعمِائةٍ وألفٍ من الهجرةِ النبويةِ وتمَّ ذلك فِى الفاتحِ مِن شهرِ شعبانَ مِن السنةِ نفسِها بفضلِ اللهِ ومَنِّهِ. وكتبَ الفقيرُ الشامِىُّ سميرُ بن سامِى ابنُ القاضِى غفر الله له.

الفهرس العام